

★ موت بطعم الحب ★

"موت بطعم الحب"

ل/ دعاء محمد

★ موت بطعم الحب ★

الكتاب : موت بطعم الحب

التصنيف : رواية

المؤلف : دعاء محمد

التصحيح اللغوي : دعاء عطية

تصميم الغلاف : مروه صلاح

التنسيق الداخلي : أحمد طه

الطبعة الأولى : 2026 / 2027

رقم الإيداع : 2026 / 9684

الترقيم الدولي : 3 - 61 - 8398 - 833 - 978

الناشر : دار انطلاق للنشر والتوزيع

مدير الدار / احمد مكي

للتواصل : startpublishing372@gmail.com

من هنا تبدأ الحكايات ويبدأ الأثر

تليفون الدار : ٠١١٥٥٧٩٩٣٢١

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية،

يعرض صاحبه للمساءلة

القانونية، أما حقوق الملكية الفكرية والآراء والمادة الواردة

في الكتاب فهي خاصة بالكاتب

فقط لا غير.

★ موت بطعم الحب ★

" المقدمة "

خذلوني حيث كنتُ أرتعد، فكان خذلانهم ضيفاً ثقيلاً أعرفه...
أما أنت! فقد اخترتِ السكينة التي سكنتُ إليها، واليد التي
استندتُ عليها، والقبلة التي اتجهتُ نحوها بقلبٍ أعزل،
لتزرع نصلك هناك... في أعمق نقطةٍ كنتُ أظنّها منيعَةً ضدَّ
الوجع.

فسلامٌ على أمانٍ كان بك، وهلاكٌ لقلبٍ لم يتعلّم أنّ الحصون
أحياناً تسقطُ بمفتاحٍ منُحِب...

★ موت بطعم الحب ★

" الإهداء "

إلى أبي...

بوصلتي حين تاهت السُّبل،

ونوري حين اذلَّهَمَّت الخطوب.

إليك أهدي ثمار فكري،

وكلَّ حرفٍ كُتِبَ بمدادِ القيم التي زرعَها في قلبي...

عساها تليقُ بمقامك العالي.

★ موت بطعم الحب ★

ترتيلتُ الوداع الأخير

★ موت بطعم الحب ★

في تلك الليلة، لم يكن سكونٌ حيّ "الزمالك" دليلاً على الطمأنينة، بل كان صمناً جنازياً مهيباً يلتفّ حول البناية العتيقة ككفنٍ من رخام. في الطابق الثالث، حيث كانت الجدران تفوح عادةً بعبق الورد المقطوف وأسرار النباتات القادمة من أقاصي الأرض، توقّف كلّ شيء فجأة.

كان فؤاد مسجّى على مقعده المخملي، في وضعيةٍ لا تشبه الموت بقدر ما تشبه استراحةً أبديةً لمحاربٍ خسر معركته الأخيرة بابتسامة. لم يكن هناك شحوبٌ مُنفر، بل بدت بشرته وكأنها استعارت بياض الياسمين الذي كان يعشقه. عيناه شاخصتان نحو فراغٍ لا يراه سواه، وكأنه يقرأ في سقف المختبر خاتمة روايةٍ لم يكتبها أحدٌ غيره.

تحت قدميه، كانت شظايا القارورة الكريستالية تتلألأ في الظلام كدموعٍ متجمّدة، يتصاعد منها بخارٌ رقيق يحمل رائحةً لم يسبق لها مثيل؛ كانت مزيجاً حاداً يجمع بين رقة "الناردين" البرّي ومرارة "اللوز" التي تلسع الروح قبل الأنف.

★ موت بطعم الحب ★

على صدره استقرّت وردةٌ سوداء، بتلاتها مخملية وقاتمة لدرجة أنها بدت وكأنها تمتصّ الضوء الشحيح المنبعث من مصباح المكتب.

دخل المحقق كمال، تسبقه خُطى ثقيلة ووقارٌ يفرضه حضوره الصامت، لم يكن كمال مجرد رجل قانون، بل كان قارئاً للأرواح قبل الأجساد.

وقف عند عتبة الباب، وأغمض عينيه للحظة ليستنشق هواء المكان، فاستوقفته تلك الرائحة التي زلزلت كيانه؛ لم تكن رائحة جريمة، بل كانت " قصيدةٌ مسمومة " .

- سيد كمال... المسرح نظيف بشكلٍ يثير الريبة، لا بصمات، لا عنف، ولا أثر لأيّ دخيل.

همس المساعد سليم وهو يخطو بحذرٍ شديد، مخفياً ارتبাকে خلف دفتر ملاحظاته الصغير.

★ موت بطعم الحب ★

انحنى كمال بجسده، والنقط بملقطه المعدني بطاقةً ورقيةً كانت تختبئ
تحت ظلّ الوردة السوداء، وقرأ الكلمات المكتوبة بخطّ يفيض بالبلاغة
والقسوة :

" أصعب الجنازات هي تلك التي تُشيعها وحدك، لقاتلٍ ما زلت تُحبّه "

أطلق كمال تنهيدةً طويلة، امتزجت بدخان سيجارته الذي بدأ يتراقص
في فضاء الغرفة :

- هنا يا سليم، لا نبحت عن قاتلٍ مأجور، بل نبحت عن قلبٍ مُحطّم
قرّر أن ينتقم بجمال...القاتل لم يترك دليلاً مادّيّاً، بل ترك لنا "إحساساً"؛
انظر إلى هذه الوردة، وإلى هذه الرسالة... القاتل كان يُشيع جنازته هو
الآخر قبل أن يغادر.

★ موت بطعم الحب ★

سار كمال نحو الطاولة الرخامية، وتلمّس بأطراف أصابعه أثر خاتمٍ
غامض كان قد انطبع على غبار المكتب الخفيف؛ شعاعٌ يشبه تعرّج
الخيوط في نسيجٍ عتيق...

التفت إلى سليم وقال بصوتٍ رخيم:

- هذه الجريمة لم تبدأ الليلة، بل بدأت منذ شهور، في اللحظة التي
دخلت فيها الرائحة الأولى إلى هذا المكان؛ ابحث لي عن كلّ امرأةٍ
عبرت هذا الباب، وابحث عن سرّ ذلك الخاتم... فالقضية ليست في
كيف مات فؤاد، بل فيمن جعل موته يبدو كقطعةٍ فنية.

★ موت بطعم الحب ★

فسح الغواية... وغيوطُ الشك

★ موت بطعم الحب ★

لم يكن الضوء الذي يغمر زوايا المختبر ناتجًا عن بريق
الكريستال فحسب، بل بدا وكأن جدران ذلك الركن العتيق في
"الزمالك" تتنفس ذكرياتٍ لم تكتمل. تلاشت برودة الموت التي
عاينها المحقق كمال، وحلّ مكانها دفء حياةٍ صاخبة بالروائح
والأحلام.

هناك، حيث كانت تقف قوارير "المُرّ" و"الصندل" كحرسٍ أمين،
وقف فؤاد بزهو العارف بمكامن القلوب. كان يرفع مخبرًا
زجاجيًا أمام خيط شمسٍ يتسلّل من النافذة، يراقب تدرّج السائل
بتركيزٍ صوفي، بينما كان صديقه ومنافسه اللدود جلال يتكئ
على المكتب الخشبي العتيق، يعبث بمسبحته الأبنوسية التي
تصدر صوتًا رتيبًا... "طرقاتٌ" بدت في صمت المكان كأنها عدّ
تتازلي لشيءٍ لا يراه سوى القدر.

★ موت بطعم الحب ★

- أنت تبیع الأوهام في زجاجاتٍ أنيقة يا فؤاد.

قالها جلال بنبرةٍ يُغلفها قلقٌ مُبطّن، وعيناه لا تحيدان عن حركة
يدي فؤاد الدقيقة.

- السوقُ يحتاج لرائحةٍ تضحّ بها الحفلات، لا لقصائدٍ تُشَمّ في
العزلة. ميزانيتك تنهار، ومختبرك العتيق هذا يغرق في ديون
"الزيوت النادرة"... فإلى متى ستظل تطارد "النوتة المفقودة" ؟

لم يلتفت فؤاد، بل ظل شاخصًا بصره نحو السائل الذي بدأ
يكتسب لونًا قرمزيًا شاحبًا :

- العطر الذي لا يُغيّر نبضات القلب عند أول شهقة، ليس
عطرًا يا جلال... هو مجرد ماءٍ ملوّن. أنا لا أبيع رائحة، أنا
أحبسُ اللحظة التي لا تُتسى في سجنٍ من زجاج.

★ موت بطعم الحب ★

في تلك اللحظة، انفتح الباب الخشبي الثقيل، ليدخل من خلاله تيارٌ من الهواء البارد، ومعه دخلت ناردين.

لم تكن خطواتها تُسمع، بل كان حضورها يُحسّ كغيمةٍ مثقلة بالمطر العذب؛ كانت ترتدي معطفًا بلون القهوة، وشالًا من الحرير يلتف حول عنقها برقّةٍ متناهية، يُخفي خلفه سرًّا لا تتركه العيون؛ توقفت عند مدخل المختبر، جالت بنظرها بين الرفوف المثقلة بالكريستال، ثم استقرّت عيناها على فؤاد الذي تجمّد مكانه، وكأن الرائحة التي دخلت معها كانت هي "النوتة" التي أفنى عمره يبحث عنها.

- قيل لي إنك تصنعُ المستحيل.

قالتها بصوتٍ رخيم، يحمل في طيّاته بحّةً غامضة توحى بوقارٍ لا يتناسب مع ملامحها التي بدت في مقبل الثلاثين.

★ موت بطعم الحب ★

تَقْدَمُ نحوها بخطىً وئيدة، وكأن مغناطيساً خفياً يجذبه :

- المستحيل يحتاج لدافعٍ بليغ، فما هو دافعكِ يا آنسة ؟

نزعت ناردين قفازها الجلدي، لتظهر يدً ناصعة تتزيّن بخاتمِ
فضي عتيق، شعاره غامضٌ يشبه تعرّج الخيوط في نسيجِ
أسطوري قديم.

- أريد عطرًا يجمعُ النقيضين.

قالتها وهي تتفرّس في وجهه بكبرياءٍ جريح.

- أريد رائحة البدايات التي تُدرك يقيناً أنها ستنتهي، عطر الوفاء
الذي يُجبر على ارتداء ثوب الخذلان؛ هل تستطيع تقطير
"الصدق" في زجاجة، أم أنك مجرد ساحرٍ بارع في بيع السراب؟

★ موت بطعم الحب ★

ساد صمتٌ طويل، تبادل فيه جلال وفؤاد نظراتٍ سريعة؛ جلال
كان ينظر إليها بريبةٍ شرسة، وكأنه استشعر في حضورها رائحة
زوال مملكتهما، بينما كان فؤاد قد بدأ يغرق في لُجّة السحر.

- هذا ليس عطرًا.

همس فؤاد وهو يتأمل ثبات عينيها.

- هذه وصيّة تُكتب بالروائح.

ابتسمت ناردين ابتسامةً باهتة، كفجرٍ شاحب، وقالت وهي تلتفت
لتغادر :

- سأعود بعد أسبوع... لآخذ وصيّتي، أو لأعلن فشل الساحر.

بمجرد أن انغلق الباب الخشبي الثقيل خلف ناردين، مُخلفًا وراءه أثرًا من
عطرها الغامض الذي امتزج بهواء المختبر، ساد صمتٌ مشحون.

★ موت بطعم الحب ★

كان فؤاد لا يزال شاخصًا ببصره نحو الباب، وكأن طيفها لم يغادر بعد، بينما كان جلال يراقب صديقه بنظراتٍ حادة، يملؤها مزيجٌ من السخرية والتحذير.

كسر جلال الصمت بضحكةٍ خافتة، جافة كأوراق الخريف اليباسة، وهو يهز مسبحته بعنف :

- يا لك من صيدٍ سهل! دخلت هذه المرأة بكلماتٍ منمّقة وشالٍ حريري، فنسيّت موازينك ومعادلاتك؛ ألم تلاحظ البرودة في عينيها؟ تلك المرأة لا تبحث عن عطر... إنها تبحث عن شيءٍ آخر تمامًا.

التفت إليه فؤاد، وكان بريقُ التحدي قد بدأ يشتعل في عينيه :

- وماذا قد تبحث عنه يا جلال؟ إنها زبونة تملك ذوقًا رفيعًا، وطلبًا لم يجروا أحدٌ قبلي على صياغته.

★ موت بطعم الحب ★

خطا جلال نحوه، وضيق عينيه بخبث :

- طلبًا بليغًا؟ " عطر الوفاء في ثوب الخذلان؟ " هذه ليست لغة زبائن، هذه لغة طُعم! ألم تستوقفك تلك الرموز على خاتمها؟ ذلك الشعار لا يخص عائلة عريقة كما تظن، بل رأيته سابقًا في ملفات قديمة تخص منافسينا في "ليون". إنها مُرسلة من "مراد"... هو يعرف أنك تمرّ بضائقة مالية، ويريد أن يسحب منك أسرار تركيباتك الجديدة عبر هذه المسرحية العاطفية.

شحب وجه فؤاد قليلاً، لكنه لم يتراجع :

- مراد؟ لا أعتقد ذلك؛ مراد رجل أرقام، وناردين... ناردين تسكنها روحٌ مُعذّبة، لا يمكن لمراد أن يشتري مثل هذا الحزن ليمثله أمامي.

★ موت بطعم الحب ★

سخر جلال وهو يتجه نحو الباب:

- الحزن هو أرخص بضاعة في سوق الممثلين يا صديقي.
نصيحتي لك: اصنع لها عطراً عادياً، وخذ مالها، وأغلق بابك.
لا تفتح قلبك لمن يطرق بابك في هزيع الليل بطلبٍ يشبه
الوصايا... لأن الوصايا لا تُنفَّذ إلا بعد الموت.

غادر جلال، وترك خلفه غيمةً من الشك بدأت تنمو في زوايا
المختبر؛ عاد فؤاد إلى طاولة تجاربه، لكنه لم يستطع التركيز
على الموازين. تذكّر ملمس يد ناردين وهي تنزع قفازها، وتذكّر
تلك اللمحة الخاطفة من "الأمان المزيّف" في عينيها.

★ موت بطعم الحب ★

فتح درجًا سرّيًا في مكتبه، وأخرج منه زجاجةً صغيرةً تحتوي على سائلٍ داكن، كان قد احتفظ به لسنوات... سائلٌ سمّاه في مذكراته " خلاصة الألم "؛ سكب قطرةً منه في مخباره، وتمتم لنفسه :

- إذا كانت تريد " الخذلان "، فسأمنحها إياه... لكنني سأجعلها تُدرك أن ثمن الوصول إلى جوهر الألم هو الاحتراق به.

في تلك الليلة، لم ينم فؤاد؛ كان يراقب القطرات وهي تسقط في المخبار ببطءٍ قاتل، كل قطرة كانت تحمل جزءًا من حكايته التي لم تُحك بعد، كان يُدرك في قرارة نفسه أن "ناردين" لم تأت لتشتري عطرًا، بل جاءت لتستردّ دينًا قديمًا لم يكن يعلم أنه مدينٌ به... دينًا يُدفع بالروح، لا بالمال.

★ موت بطعم الحب ★

في ذلك اليوم، كان فؤاد يقف في بقعة الضوء ذاتها، يراقب جلال وهو يضع تلك الساعة نفسها على الطاولة بحدّة.

كانت نظرات جلال مُغلّفة بطبقة من العتاب المرير، وهو يقول :

- الأمان الذي تبحث عنه في قواريرك يا فؤاد، هو ذاته الذي سيوردك المهالك؛ أنت تصنع عطرًا لامرأة لا تعرف عن ماضيها شيئًا، فهل تظن أن "الوفاء" يُشترى بالروائح؟

لم يرفع فؤاد رأسه عن ميزانه الدقيق، بل قال بنبرةٍ بليغة :

- أنا لا أشتري الوفاء يا جلال، أنا أستحضره. ناردين ليست مجرد عابرة، إنها الروح التي ضلّت طريقها وأرادت أن تستريح في محراب عطري.

وفجأة، انفتح الباب... ودخلت ناردين...

★ موت بطعم الحب ★

كانت تلفّ شالاً من الحرير الأسود حول عنقها، وكأنها تُخفي خلفه ندبةً لا تبرا. تقدّمت نحوه، متجاهلةً وجود جلال تمامًا، لكنها توقفت فجأة حين رأت ساعة الجيب فوق الطاولة. شحب وجهها، واهتزّت يداها وهي تلامس طرف الطاولة الرخامية.

– هل جيئتِ لتأخذي "أمانك" الموعود؟

سألها فؤاد بصوتٍ يملؤه الحنان.

نظرت نازدين إلى الساعة، ثم إلى جلال الذي كان يراقبها بصمتٍ مخيف، وقالت بكلماتٍ بدت وكأنها تخرج من بئر عميق :

– جيئتُ لأخبرك أن الأمان الذي وعدتني به قد خُذل في موضع خوفي... واليوم، أخشى أن يُخذل في موضع أمانِي.

★ موت بطعم الحب ★

التقت ناردين لتغادر، لكنها تركت خلفها رائحةً غامضة لم تكن ناردين، بل كانت رائحة شيءٍ يحترق ببطء.

عاد الصمْتُ يُطبق على المختبر، صمْتُ لزجٍ وثقيل، لم يكن يقطعه سوى أزيز جهاز التقطير الصغير في الزاوية، ودقات الساعة الرخامية الرتيبة التي بدت وكأنها تحفر قبرًا للوقت.

وقفت ناردين عند عتبة الباب، جسدها يرتجف خلف معطفها القهوي، وشالها الحريري الأسود يلتف حول عنقها كأنه حبل مشنقةٍ ناعم؛ كانت عيناها اللتان حملتا برودة الشتاء ودهشة الخذلان، شاخصتين نحو جلال، جلال الذي لم يتحرك قيد أنملة، بل ظل متكئًا على المكتب الخشبي العتيق، يعبث بمسبحته الأبنوسية، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامةٌ غامضة، التقت بنظرات ناردين في منتصف الغرفة... نظراتٌ لم تكن بحاجةً لكلمات، بل كانت صدامًا صامتًا بين سرٍّ يُراد دفنه وخوفٍ يرفض الرحيل.

★ موت بطعم الحب ★

أما فؤاد، فقد كان عالماً في برزخ بينهما. تملكه سحر حضور ناردين، بينما كانت تحذيرات جلال تتردد في عقله كطبول حرب بعيدة. نظر إلى ساعة الجيب الفضية المهشمة على الطاولة، النقش (غصن الناردين والخنجر) بدا وكأنه يضحك بسخرية من سذاجته.

وفي تلك اللحظة الحرجة، حيث كان الهلاك يغازل الأمان في عقر داره... انكسر حاجز الصمت الصمغي...

لم يكن صوتاً بشرياً، بل كان صرخةً آليّة، حادّة ومفاجئة، انبعثت من هاتف فؤاد الموضوع فوق رف الزيوت النادرة؛ اهتز الهاتف بقوة، مُسقطاً قارورة صغيرة من "عطر الصندل" لتتهشم على الأرض، فانتشرت رائحةً قوية حاولت عبثاً طرد عبير ناردين الغامض.

★ موت بطعم الحب ★

تجمّدت الحركة في الغرفة، التفت فؤاد ببطء نحو الهاتف، وقد شحب وجهه وكأنه أدرك أن عالم الأمان الذي بناه مع خطيبته بدأ يتداعى تحت وطأة هذه المكالمة.

على الشاشة المضاءة، التمع اسمٌ واحد، اسم المرأة التي ينتظرها بيتٌ لم يكتمل، ووعودٌ لم تُنفَّذ بعد :

"إليان "

إليان... التي كان يظنّها قبيلته الوحيدة، والتي كانت تنتظر منه عطر زفافهما، لا "وصيّةٌ تُكتب بالروائح" لامرأةٍ مجهولة.

نظر جلال إلى الهاتف، ثم إلى فؤاد، واتسعت ابتسامته الغامضة لتكشف عن خبيثٍ دفين، وغمز بعينه قائلاً بصوتٍ خفيض، بالكاد سُمع وسط طنين الهاتف :

★ موت بطعم الحب ★

- يبدو أن قبلك تتاديك يا صديقي... فهل ستجيب نداء
"الأمان" الذي تملكه، أم ستغرق في "الوصية" التي تطلبها هذه
الغريبة؟ احذر... فالبيوت التي تُبنى على الوعود المنسية، هي
أول ما يسقط حين تهبّ رياح الخذلان.

سقطت نظرات فؤاد بين ناردين، التي أطرقت رأسها وكأنها
استشعرت ثقل وجود امرأةٍ أخرى في هذا النسيج، وبين الهاتف
الذي لا يزال يصرخ باسم إيلان، معلناً أن "الخطيبة" لم تعد
مجرد اسم، بل أصبحت هي القيد الذي يُصارع الحرية المسمومة
التي منحتها إياه ناردين.

بينما كان الهاتف لا يزال يصرخ باسم "إيلان"، انسحبت ناردين
بخطواتٍ وثيدة، لم تُصدر وقعاً على الأرضية الخشبية، وكأنها
طيفٌ يخشى ملامسة الواقع...

★ موت بطعم الحب ★

خرجت من الباب الخشبي الثقيل، لكنها لم تذهب بعيداً؛ بل
وقفت خلفه تماماً، مستندةً بظهرها إلى الجدار البارد، تحبس
أنفاسها وهي ترقبُ عبر فجوةٍ ضيقة ما سيؤول إليه نسيجُ هذا
المساء.

في الداخل، مدَّ فؤاد يده المرتجفة، وضغط على زرّ الإجابة؛
ساد صمتٌ قصير قبل أن يأتيه صوت إيان؛ كان صوتاً يفيضُ
بعذوبةٍ وثقة، لكنه يحمل نبرة العتاب التي لا يتقنها إلا مَنْ يملك
صكوك الامتلاك...

– فؤاد... هل ما زلت غارقاً في مختبرك العتيق؟

قالتها إيان، وكان صوتها عبر الهاتف يبدو غريباً في حضرة
روائح الناردين والمرّ...

★ موت بطعم الحب ★

- لقد حجزتُ لنا طاولةً في ذاك الركن الهادئ الذي نحبه...
العشاء الليلة لا يقبل التأجيل، والوعود التي قطعناها لي بشأن
"عطر الزفاف" بدأت تذبل خلف انتظارنا.

كان فؤاد ينظر إلى جلال، الذي كان يتابعه بعينين صقريتين،
وابتسامةٍ لا تزال معلقة على شفثيه كأنها نبوءةٌ شؤم. ابتلع ريقه،
وشعر بغصةٍ في حلقه وهو يهمس :

- إليان... أنا... لستُ متأكدًا إن كنتُ سأتمكن من اللحاق بكِ
الليلة، العمل هنا يتخذ مسارًا معقدًا.

خلف الباب، أغمضت ناردين عينيها؛ كانت تستمع إلى تلك المكالمات
وكانها تستمعُ إلى حكم إعدامٍ لأمانها الشخصي، كانت تعلم أن إليان
هي "الحصن" الذي يقف في طريق وصيّتها، وأن عشاءهما الليلة قد
يكون المسمار الأخير في نعش عطرها الموعود.

★ موت بطعم الحب ★

انقبضت يد ناردين على طرف شالها الحريري حين سمعت إليان
ترد بصرامةٍ رقيقة :

- لا تخذلني... أنا بانتظارك في التاسعة، بقلبٍ أعزل كما
أحببتني دومًا. لا تتأخر.

أغلق فؤاد الهاتف، وساد المكان صمتٌ جنائزي أطبق على
أنفاسه...

نطق جلال أخيرًا، محرّكًا مسبحته بسرعةٍ توحى بالتوتر
المكتوم :

- عشاءٌ مع الأمان، أم سهرٌ مع الخذلان ؟ الخيار لك يا
صديقي... لكن تذكر، أن القبلّة التي لا نُخلص لها، هي أول ما
يطعننا حين تضلُّ السُّبل.

★ موت بطعم الحب ★

تحركت ناردين بعيداً عن الباب قبل أن يُفتح، كانت دمعاً وحيدة
قد شقت طريقها على وجنتها، ليست دمعاً حزن، بل دمعاً إدراكٍ
مرّ بأن "الأمان" الذي كانت تبحث عنه عند فؤاد قد أصبح الآن
مهدداً بـ "مفتاح" امرأةٍ أخرى تملك قلب القاتل... أو الضحية
القادمة.

★ موت بطعم الحب ★

طويلاً... وقفتُ أَرصدُ خُطَاكَ على أَعْتَابٍ وَعَدٍ لَا يَجِيءُ.

أوهمتُ الرُّوحَ أَن المَدَى رَحْبٌ، وَأَن فِي جَعْبَةِ الوَقْتِ مَتَسَعًا لَتَعُودَ...

كَانَتِ الأَيَّامُ تَوَزَّعُ وَعُودُهَا بِسَخَاءٍ، وَالسَّاعَاتُ تَهْمَسُ:

"غَدًا يَكْتَمِلُ اللِّقَاءُ".

لَكِن المَدَى بَدَأَ يَتَقَلَّصُ،

وَالْوَقْتُ الَّذِي ظَنَنْتُهُ بِسَاطًا مَمْتَدًّا

صَارَ خَنَاقًا يَضِيقُ... وَيَضِيقُ،

حَتَّى لَمْ يَعدَ يَتَّسِعُ إِلَّا لَدَمْعَةٍ وَحِيدَةٍ،

وَشَمْعَةٍ أَحْرَقَتْ نَفْسَهَا فِي انْتِظَارِكَ.

★ موت بطعم الحب ★

على الجانب الآخر من المدينة، في ذلك المطعم الهادئ الذي
يطل على النهر، كانت إليان تجلس وحيدةً أمام طاولةٍ مزينة
بشمعةٍ وحيدة، بدأ لهبها يتراقص مع نسيمات الهواء الباردة.

كانت الساعة الرخامية المعلقة على الجدار تشير إلى التاسعة
والنصف، وكل دقّة كانت تطرُق مسامراً في نعش صبرها.

كانت إليان تلمسُ ياقة فستانها الحريري بتوتر، وعيناها معلقتان
بباب المطعم الذي يفتح ويغلق ليدخل منه الجميع... إلا فؤاد.

نظرت إلى هاتفها الصامت، ثم إلى كأسه الفارغة التي وضعتها
النادلة أمامها، وشعرت ببرودةٍ تسري في أوصالها؛ لم تكن برودة
الطقس، بل كانت تلك " النغزة " القديمة التي تأتي لتخبرنا أن
القبلة التي نتجه نحوها... قد تغيّرت وجهتها...

★ موت بطعم الحب ★

تمت إيلان وهي تنظر لظلمتها المنكسر فوق الطاولة :

" تأخرت كثيراً... والوعود التي تذبل في الانتظار، لا يحييها
أغلى العطور "

كانت الساعة المعلقة في ركن المطعم قد تجاوزت العاشرة
والنصف، حين انفتح الباب الخشبي الثقيل بلهفة مكسورة...
دخل فؤاد، والأنفاس تتصاعد من صدره كدخان حريق لم يهدأ
بعد، ملابسه مشعثة، وعيناه تحملان ذهول من نجا من غرق
محقق.

اتجهت عيناه مباشرة نحو الطاولة المنشودة، لكن قلبه سقط قبل
قدميه... الطاولة كانت خالية، إلا من بقايا شمعة انتحرت في
منتصفها، وكأس ماء لم يشرب.

★ موت بطعم الحب ★

خطا فؤاد نحو الطاولة بضع خطواتٍ ثقيلة، وكأن الهواء صار
من رصاص؛ لم تكن إيان هناك، لكن حضورها كان يملأ
المكان برائحةٍ عطرٍ يعرفه جيداً... عطرُ الوداع الذي لم يصنعه
هو، بل صنعته هي بدمعها.

وعلى المفروش الأبيض الناصع، بجانب الفنجان البارد، كانت
هناك قصاصةٌ ورقيةٌ صغيرة، كُتبت بخطٍّ يرتجفُ كبرياءٍ
وقسوة...

انحنى فؤاد ليلتقطها، فقرأ الكلمات التي كانت أنصلاً ذُبحت
عليها وعوده :

★ موت بطعم الحب ★

"ظننتُ أنني قبلتك، فكانت الدروبُ كلها تأخذك بعيداً عني.

انتظرتك حتى ضاق الوقتُ، ثم ضاق صدري، ثم ضاقت الأرضُ بما

رحبت.

لا تعتذر، فالاعتذارُ هو عطرٌ يرشُ فوق جثةِ ثقةٍ تعفنت.

سأرحلُ الآن، وأتركك لخيبتك...

فاحسب ما تبقى من عمرك، ولن تكفيك أصابعك العشرة لتعدَّ المرات

التي ستتمنى فيها لو أن الزمن توقف عند سجدة وفاءٍ واحدة خذلتها"

★ موت بطعم الحب ★

سقطت الورقة من يد فؤاد، وشعر ببرودةٍ تسري في أطرافه. نظر إلى أصابعه التي كانت تتقنُ خلطَ أعظم العطور، فبدت له الآن عاجزة، ذابلة، لا تقوى على استعادة لحظةٍ واحدة ضاعت. التفت حوله بجنون، باحثًا عن طيفها بين الزبائن، لكن إيلان كانت قد رحلت فعلاً، تاركةً وراءها "أمانًا" محطّمًا لن يرمّمه أي عطرٍ في العالم.

خلف زجاج المطعم، كانت السماء تمطرُ برذاذٍ خفيف، وكأن المدينة تشاركه تلك اللحظة التي أدرك فيها أن "الأمان" الذي كان يبحث عنه في المختبر قد ضاع منه للأبد على طاولة عشاءٍ فارغة.

تحوّل النيل في تلك الليلة إلى مرآةٍ سوداء صقيلة، تعكس انكسار الضوء وهزيمة الروح. وقف فؤاد على الضفة، والرياح تلهثُ خلفه كأنها تطارده بذنبٍ لم يقتطفه بعد، أو ربما اقتطفه وأبى أن يعترف به.

★ موت بطعم الحب ★

أخرج هاتفه من جيبه بآليةٍ يملؤها الذعر؛ كانت شاشته تلمعُ في
الظلام كعين حيوانٍ جريح... ضغط على اسمها... "إليان "

مرّت الرّثاُتُ رتيبةً، ثقيلةً، كأنها خطواتُ محكومٍ عليه بالإعدام
يسيرُ نحو منصّته. رنة... اثنتان... ثلاث... ثم انقطع الأمل
بصوتٍ آليٍّ بارد أخبره أن " القبلّة " التي كان يتجه نحوها قد
أغلقت أبوابها في وجهه.

لم يستسلم؛ فالمذنبُ لا يملكُ ترف اليأس؛ أعاد المحاولة مرةً
ثانية، وثالثة، وعاشرة... وفي كل مرة، كان الصمتُ الآتي من
طرف إليان يزدادُ اتساعًا، حتى صار فجوةً يغرق فيها تاريخهما
المشترك؛ كان يتخيّلها الآن، تجلسُ في سيارتها أو خلف نافذة
بيتها، تراقبُ هاتفه وهو يصرخُ نادمًا، وتقابلُ صراخه بكبرياءٍ
صامت، كأنها تُلقِي بآخر زجاجات عطر الوفاء في يَمِّ
النسيان...

★ موت بطعم الحب ★

همس فؤاد لنفسه، وصوته يغرق في ضجيج الموج :

" خذلوني حيث كنتُ أرتعد، فكان خذلانهم ضيقًا أعرفه... أما أنتِ... فقد كنتِ اليد التي استندتُ عليها، والآن تتركيني بقلبي أعزل، أواجهُ نصلَ الخوفِ وحدي "

كان يعلم في قرارة نفسه أن الأصابع العشرة التي لم تكفه لعدِّ خيباته، لن تكفيه الآن ليمحو أثر الغياب الذي حفرتَه إليان في صدره؛ لم تكن إليان تهرب منه، بل كانت "تؤدِّبه" بالهجر، ولم تكن تدري أنها بهذا الهجر تتركُ المسرحَ خاليًا لناردين، ولجلال، ولمراد... ليعبثوا بما تبقى من حصونه المنيعَة.

وضع فؤاد هاتفه في جيبه، ونظر نحو الأفق البعيد حيث تلوح أنوارُ مختبره في الزمالك، وشعر - للمرة الأولى في حياته - أن الطريق إلى "الأمان" قد سُدَّ تمامًا، وأن العطر القادم الذي سيقطِّره لن يكون عطر زفافٍ أو وفاء، بل سيكون "ترتيلة وداعٍ" أخيرة، تُكتبُ بمدادِ الندم الذي لا يمحوه اعتذار.

★ موت بطعم الحب ★

في سردابٍ خفيٍّ تحت صخب القاهرة، حيث لا تصلُ تراتيلُ
النيل ولا ضجيجُ الأحياء، كان الوقتُ يتوقّف عند حدودِ
الخدِعة؛ لم تكن الغرفةُ المظلمة مجرد مكان، بل كانت "رَجَمًا"
تُولدُ فيه المِيتاتُ الأنيفة.

هناك، حيثُ ترقصُ الظلالُ على الجدران الرطبة كأنها أرواحُ
محبوسة، جلس مُراد... لم يكن رجلًا عاديًا، بل كان "مايسترو"
الخراب؛ كان يمسكُ بقلمٍ من ريشٍ غراب، يخطُّ به أسماءَ
ضحاياهِ على ورقٍ عتيق، وكأنه "عزازيل" يكتبُ أقدارَ
التائهين.

انفتح البابُ بهسيسٍ موحشٍ، ودخل جلال؛ لم يكن يخطو، بل
كان يتسلَّل كخطيئةٍ لم يتب عنها صاحبُها بعد... وضع مسبحةَ
الأبنوسية فوق الطاولة، فكان صوتُ ارتطامِ حَبّاتها يشبهُ صوتَ
العظام حين تتكسرُ تحت وطأةِ الندم.

★ موت بطعم الحب ★

- لقد سقطت القبلَةُ يا مراد.

همس جلال بنبرة باردة كصقيع المقابر.

- إليان رحلت، وفؤاد الآن جسدٌ بلا بوصلة، قلبٌ أعزل يرتجفُ
في مهبِّ الروائح.

ضحك مراد ضحكةً مخنوقة لم تصل إلى عينيه الصقريتين،
وقال بصوتٍ يملؤه الفحيح :

- الأمانُ هو أولُ مسمارٍ نظرقهُ في نعش القوي يا جلال. فؤاد
كان يحتمي بوفائه، والآن... جرّدها من درعه. ناردين الآن هي
"السّم" الذي سيسري في عروقِ مختبره، هي الغاوية التي
سُشّقطه في بئرِ "العطر الملعون". هل بدأت في استدراج
روحه؟

★ موت بطعم الحب ★

أوماً جلال برأسه، والظلامُ يبتلعُ نصفَ وجهه :

- إنها تضعُ خيوطَ العنكبوتِ حولِ حواسه ببراعة. فؤاد يظنها
وصيةً، وهي في الحقيقة "قربانٌ" لعرشك. لكن احذر... إيان لم
ترحل لتتسى، بل رحلت لتتحول. لقد رأيتُ في عينيها شرارةً لا
يطفئها إلا الدم. ستتضمَّ إلينا قريباً، ليس حباً في مالك، بل غيرةً
على قلبٍ قرّرت أن تحطّمه بيديها لكي لا يملكه أحدٌ غيرها.

رفع مراد كأسه عاليًا، وكان السائل بداخله أحمرَ قتيماً كدمٍ
طازج :

- إذن، المأدبةُ قد اكتملت؛ ناردينُ تسرقُ السر، وأنتَ تبيعُ
الصديق، وإيان ستكونُ نصلَ الخاتمة... وفؤاد؟ فؤادٌ سيظلّ
يقطّر "موت الحب" في زجاجاتٍ من كريستال، حتى يدرك في

★ موت بطعم الحب ★

شهقته الأخيرة أن أجمل العطور رائحة... هي تلك التي تفوح
من جثث الوعود.

خلفهما، كان البخار يتصاعد من قدرٍ قديم، وكأن أرواح
العطارين القدامى تتوح في الزوايا، محدّرة من اللحظة التي
سيمتزج فيها الياسمين بالناردين... والدّم بالخيانة.

★ موت بطعم الحب ★

شكرُ ايا سمين... ورقصةُ الفناء

★ موت بطعم الحب ★

داخل المختبر الذي استحال إلى محرابٍ للغواية، كان الضوءُ
الشحيحُ يراقصُ بخارَ التقطير، وكأن المكان يتنفسُ معهما؛
وقف فؤاد أمام طاولة الرخام، وبجانبه كانت ناردين تقفُ كطيفٍ
لا يبارحُ خياله. لم تكن المسافة بينهما تُقاس بالسنتيمترات، بل
بنبضاتِ قلبٍ بدأت تتسارع لتعلنَ العصيان على موازين العقل.

- انظري يا ناردين.

همس فؤاد بصوتٍ يملؤه الخشوع، وهو يرفع قارورةً صغيرة
تحتوي على سائلٍ ذهبيٍّ يتلألأ تحت الضوء.

- هذا ليس مجرد مستخلص لزهرة "الناردين"... هذا هو التجسيدُ
المادي لصوتكِ حين نطقْتِ باسمي للمرة الأولى... مرٌّ في
بدايته، لكنه يتركُ خلفه حلاوةً تقتلُ صاحبها شوقًا.

★ موت بطعم الحب ★

اقتربت ناردین، وسرت في المكان رائحةً الحریر البارد الذي
ترتديه، ممزوجةً برائحة الخوف الذي تحاولُ وأده في صدرها...

نزعت قفازها، وتلمّست يدها أصابع فؤاد وهي تمسك بالقارورة؛
كانت لمسةً أشبه بمسّ كهربائي، زلزل كيّان ذلك العطار الذي
ظن يوماً أن الأمان يسكن في بيت " إلیان " الهادئ.

نظرت في عینیه بکبرياءٍ بدأ يتهاوى أمام صدقه، وقالت بصوتٍ
رخيم :

- ألا تخشى يا فؤاد؟ العطارون قديمًا كانوا يقولون إن من
يصنعُ عطرًا للروح، يهبُ روحه للقارورة... فماذا سيبقى منك إذا
أتممت وصيّتي ؟

★ موت بطعم الحب ★

ابتسم فؤاد، وكان بريق الهيام قد غطّى على حذر الكيميائي
بداخله :

- لبيق ما يبقى، ويذهب ما يذهب. منذ دخلتِ هذا الباب، وأنا
أشعرُ أن كل ما صنعتُهُ قبل اليوم كان مجرد عبث. إيانُ كانت
"الماء" الذي يروي عطشي، أما أنتِ... فأنتِ "الخمُر" الذي
يجعلني أهذي بالجمال.

في تلك اللحظة، وضع فؤاد قطرةً من عطره الجديد على
معصمها، ثم انحنى ليستشقّها؛ لم يكن يستشقُّ عطرًا، بل كان
يبتلعُ طعم الخديعة بكامل إرادته، تلاقت نظراتهما، وفي تلك
الفجوة الزمنية، نسي فؤاد مكالمة إيان، ونسي تحذيرات جلال،
ونسي أن العالم خارج هذا المختبر يتربّص به.

★ موت بطعم الحب ★

وبينما كان فؤاد يغرقُ في سحرها، كان جلال يراقب من خلف
زجاج الباب المظلم، يبتسمُ في صمت وهو يرى "الضحية" تضعُ
عنقها تحت السكين ... حبًّا.

في تلك الليلة، كان القمرُ محاقًا، وكأن السماء ترفضُ أن تشهدَ
على ما يحدث خلف جدران الزمالك العتيقة؛ المختبرُ لم يعد
مكانًا للعلم، بل استحال إلى " محرقةٍ " للبراءة.

وقف فؤاد خلف طاولة التجارب، وقد بدت عيناه غائرتين من
أثر السهر والوجد. كان يُمسكُ بمِخبارٍ مُدرَج، يُقطِرُ فيه سائلًا
شفافًا كدموع القديسين، بينما كانت ناردين تقفُ خلفه، قريبةً
لدرجة أنها كانت تشعرُ بحرارة أنفاسه المُتهدِّجة.

– انظري يا ناردين.

قال فؤاد بصوتٍ يملؤه الفخرُ القاتل :

★ موت بطعم الحب ★

- هذه هي القاعدةُ السريةُ لعطري الذي لم يشمَّه بشرٌ بعد.
أسميته "الخلود"؛ إنه عطرٌ لا يتبخر، بل يلتصقُ بالروح حتى
بعد أن يُغادر الجسدُ الحياة... هل تُدركين معنى أن نحبسَ
الزمن في زجاجة؟

لم تكن ناردين تستمعُ لجمالِ المعنى، بل كانت عيناها
الصقريتان تُراقبانِ حركةَ يده، وهي تُعيدُ القارورةَ الأم إلى الخزانةِ
الحديديةِ الصغيرة خلف المكتب.

كانت تحفظُ "الطققة" المعدنية للقفل، وترسمُ في مخيلتها
خارطةَ الوصولِ إلى ذلك الكنز الذي ينتظره مراد على أحرّ من
الجمر...

التفتَ إليها فؤاد فجأةً، فارتسمت على وجهها فوراً ملامحُ
الانبهارِ المُزيّف...

★ موت بطعم الحب ★

أمسك يدها، ووضعتها فوق قلبه، وقال :

- أريدك أن تكوني شريكتي في تقطير النوتة الأخيرة؛ أريد أن
يمنتج عبيرُ روحك بهذه المعادلة... خذي هذا المِخبار، واسكبي
فيه ثلاث قطراتٍ من زيت "المُرّ... ببطء، وكأنك تسكينَ سرِّك
في قلبي.

مدّت يدها ببرودٍ يحسدها عليه الشيطان، وفي اللحظة التي
تلامست فيها أصابعهما، كان فؤاد يشعر بأنه يمتلك العالم، بينما
كانت هي تُفكِّر في "المفتاح" المُعلّق في سلسلة ساعته.

- أنت تضع ثقةً كبيرةً في امرأةٍ لم تعرفها إلا منذ أيامٍ يا فؤاد.

قالتها بصوتٍ يقطرُ نعومةً، كحجر الصَّوان المُغطّى بالمخمل.

★ موت بطعم الحب ★

أجابها، وهو يغرقُ في بريقِ عينيها :

- الزمنُ ليس بالسنوات يا نارين، بل باللحظاتِ التي نشعرُ فيها أننا وجدنا ضالّتنا... أنتِ لستِ امرأةً، أنتِ "النوتة المفقودة" التي جعلتُ لحياتي رائحةً.

في تلك اللحظة، كان جلال يقفُ في الظل خارج النافذة، يُراقبُ المشهدَ كغرابٍ ينتظرُ نضوجَ الجثة؛ كان يرى فؤاد وهو يشرحُ لها "النسب المئوية" للمكونات، ويعلمُ أن كل كلمةٍ ينطقُ بها فؤاد هي طلقةٌ يضعها في مسدسِ قاتله.

ضحك مراد في خياله، وهو يتخيلُ فؤاد يظن نفسه "عاشقًا مُلهمًا"، بينما هو في الحقيقة مجردُ "مختبرٍ" يعملُ مجانًا لحسابِ أعدائه.

★ موت بطعم الحب ★

لقد اكتملت طقوس الاستدراج، فؤاد الآن لا يرى سوى وجه ناردین، ولا يشم سوى عطرها، ولا يدرك أن "إليان" في هذه اللحظة بالذات كانت تقف أمام مرآتها، تقصُ خصلةً من شعرها، وتقسّم بمرارة خبيثتها أنها ستجعل هذا المختبر مقبرة لكل من فيه.

لم تكن إليان ممن ينسحبون في صمت الجبناء. كانت في تلك الليلة تجوب غرفتها كذئبة جريحة، تنتظر إلى صورتها المعلقة، وإلى "عطر الزفاف" الذي بدأ فؤاد في تحضيره لها قبل شهور... العطر الذي صار الآن يتيماً، بلا رائحة وبلا وعد.

قررت أنها لن تسمح لغريبة أن تسرق ملامح حياتها؛ ارتدت معطفها، وتوجهت صوب "الزمالك"، لم تكن تذهب لتتقم بعد، بل كانت تذهب لنقاتل من أجل "بقايا إنسان" ظنّت أنها تملكه.

★ موت بطعم الحب ★

وصلت إلى البناية العتيقة... كانت النوافذ في الطابق الثالث تتضح بضوءٍ خافت، يفوحُ منه عبقُ الناردين المُريب؛ صعدت الدرجات الرخامية، وكل خطوة كانت طريقةً على جدران قلبها؛ وقفت أمام الباب الخشبي الثقيل، ترددت ثانيةً، ثم طرقت... طرقاتٌ قوية، واثقة، تحملُ في طياتها عتابَ سنواتٍ من الصدق.

في الداخل، تجمّد فؤاد... كان يهمسُ لناردين بسرٍّ كيميائيٍّ جديد، لكن صوت الطريقة زلزل كيانه؛ عرف تلك الطريقة جيدًا؛ إنها طريقة "إليان"... القبلّة التي حاول إغلاق أبوابه دونها.

- لا تفتح.

همست ناردين، وعيناها تلمعان ببرودةٍ الأفاعي.

★ موت بطعم الحب ★

- إذا فتحت، سينكسر سحرُ العطر الذي نصنعه؛ هي ماضٍ يُحاولُ خنقَ حاضرك.

لكن فؤاد، الذي لا يزال يسكنه جزءٌ من "فؤاد القديم"، تحرك نحو الباب بآلية، فتحه ليجد إليان تقفُ هناك، عيناها مُغرورقتان بالدموع، لكن كبرياءها لم يسقط بعد.

- فؤاد.

قالت بصوتٍ مخنوق، وهي تُحاولُ استنشاق هواء المكان الذي تغيّرت معالمه :

- جئتُ لأخبرك أنني لا أصدق ما حدث في المطعم... جئتُ لأخذك من هذا المكان، من هذه الروائح التي بدأت تُغيّر ملامح وجهك، من هذه المرأة يا فؤاد؟ وما الذي تفعله في مختبرِ وعودنا؟

★ موت بطعم الحب ★

نظر فؤاد خلفه إلى ناردین، التي كانت تقفُ بزهوٍ بين القوارير،
ثم نظر إلى إلیان كان الصراعُ في عينيه مرعبًا؛ بين الأمانِ
الهادئ الذي تمثله إلیان، وبين الهوسِ المسموم الذي تمثله
ناردین.

– إلیان... ارحلي الآن.

قال فؤاد بنبرةٍ غريبة، وكأنه تحت تأثيرٍ مُخدِّرٍ عطريّ :

– أنا لا أصنعُ عطرًا للزفاف الآن... أنا أصنعُ "الوصية"؛

ناردین ليست غريبة، هي الإلهام الذي لم تستطعي منحي إياه

يومًا، ارحلي قبل أن يُفسد حضورُكِ معادلة الخلود.

وقعت الكلمات على إلیان كالصواعق... نظرت خلفه إلى

ناردین، ورأت في عيني الغريبة نظرة " النصر البارد ".

★ موت بطعم الحب ★

في تلك اللحظة، شعرت إليان بشيءٍ ينكسرُ داخلها للأبد، لكنه ليس انكسارَ الضعف، بل هو انكسارُ الغطاء الذي يحمي "الوحش" الكامن في صدرها.

التفتت إليان لترحل، لكنها وقفت عند عتبة الدرج، وقالت بلهجة تُنبئُ بالخراب :

- لقد حاولتُ يا فؤاد... حاولتُ أن أكونَ يدك التي لا تتركك، لكنك اخترتَ اليد التي ستقتلك... تذكر هذه الليلة جيدًا، لأنك حين ستصرخُ طالبًا الأمان، لن تجد سوى رائحة دمي تُخنقك.

نزلت إليان الدرج، بينما كان جلال يُراقبها من ركنٍ مُظلم في المدخل، يبتسمُ بخبثٍ وهو يرى الثمرة قد نضجت.

★ موت بطعم الحب ★

اقترب منها، وهمس في أذنها بكلماتٍ لم يسمعها أحد :

- إذا أردتِ استعادة كرامتكِ يا إيلان... فمكتبُ مراد مفتوحٌ لكِ

الليلة، هو وحده يملكُ النار التي ستحرقُ ناردين... وفؤادكِ

الخائن.

★ موت بطعم الحب ★

" لم يختم الطبُّ فوق جبهتي بلعنة " الزهايمر " بعد، لكنَّ شيئاً ما في

داخلي بدأ يقاتل على ملامحي؛

بدأتُ أفقدُ تلكَ التفاصيلَ الصغيرةَ التي كانت يوماً حبالَ نجاتي؛

الأشياءُ التي كانت تملكُ القدرةَ على إكائي أو إشعالِ الفرحِ في

صدري، صارت تتسربُ من بين أصابعي كرمادِ ذرته الرياح...

أصبحتُ غريباً عن أدواتي؛ أنسى قارورةَ مائي بعد أن أملاًها، كأني

أملاً فراغاً لا يرتوي، أو كأن الذاكرةَ ثقبٌ أسود يبتلعُ الحاضرَ قبل أن

يرتسم.

أسهو عن وجوهٍ نادتنني عبر أرقامٍ زارت سجلَّ هاتفي، تركتها معلقةً

في صمتِ النسيان،

لا لأنني لا أريدُ الرد، بل لأن المسافةَ بيني وبين "الأمس" صارت أميلاً

من الضباب.

★ موت بطعم الحب ★

أنا لا أنسى فحسب... أنا أمحي..

أفقد القطع الصغيرة من "بازل" حياتي، قطعةً تلو الأخرى، حتى لا

يتبقى مني سوى إطارٍ فارغٍ؛

النسيانُ ليس مرضًا هنا، إنه "تملّ" أبيض ينخرُ في خشبِ الذكريات،

يتركني واقفًا في منتصفِ الغرفة،

أتساءلُ ليس فقط عمّا كنتُ أفعله، بل عمّن أكونُ أنا في زحامِ هذا

الغياب "

★ موت بطعم الحب ★

بخطواتٍ مثقلةٍ بالخزي، وكبرياءٍ ينزفُ صمتاً، وجدت إليان
نفسها تقف أمام بوابة "برج ليون".

لم يكن البرج مجرد مقرٍ لشركة عطور منافسة، بل كان قلعةً من
زجاجٍ وفولاذ، تعكسُ قسوةَ صاحبها وتطلعاته التي لا تعرف
الرحمة.

صعدت المصعد الكهربائي، وفي كل طابق كانت تشعر بأنها
تهبطُ دركةً في هاويةٍ روحها...

حين انفتح الباب، كان مراد ينتظرها في مكتبه الشاسع الذي
يُطلُّ على نيل القاهرة، كأنه إلهٌ يُراقبُ صراعات البشر من
عليائه. كان المكتبُ يغرقُ في إضاءةٍ خافتة، تفوحُ منه رائحةُ
جلودٍ باهظة الثمن وتبغٍ فاخر، رائحةٌ تختلفُ تماماً عن رائحة
مختبر فؤاد "البسيطة والدافئة"؛ هنا الرائحةُ لها ثمن، ولها أنياب.

★ موت بطعم الحب ★

- كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ ستأتين يا إيلان.

قال مراد بصوتٍ هادئٍ، وهو يصبُّ سائلاً قرمزيًا في كأسه، دون أن يلتفت إليها :

- النساءُ الصادقاتُ مثلكِ لا يُطَقْنَ رؤيةَ معابدهنَّ تُدنَّسُ بأقدام الغريبات.

وقفت إيلان وسط الغرفة، شاحبةً كقطعةٍ رخام، وقالت بنبرةٍ مرتعشة :

- جلال قال إنك تملكُ النار... وأنا جنُتُ لأحرق الغابةَ التي أوت فؤاد وخيانتته. ماذا تريدُ مني يا مراد؟

استدار مراد ببطء، وفي عينيه بريقٌ يشبهُ لمعان السكين تحت القمر؛ اقترب منها حتى صار ظله يبتلعُ ظلها، وهمس :

- لا أريدُ منك الكثير؛ فؤاد يظنُّ أنه يصنعُ عطر "الخلود"، لكنه في الحقيقة يصنعُ حبلَ مشنقته... هو الآن تحت تأثيرِ سحرِ ناردين، وهي

★ موت بطعم الحب ★

تؤدي دورها لتسرق منه سرّه المهني، لكنني لا أريد السرّ فقط... أريد
أن أرى فؤاد يسقط من حلق، أن يرى كل ما بناه يتحول إلى رماد.

صمت مراد للحظة، ثم تابع وهو يُراقب ملامح وجهها الجريح :

- ناردين ستسرق التركيبة، وهذا يكفي لتدميره ماليًا... لكنني أحتاجك
أنت لتدميره "روحياً"، أريدك أن تكوني "الشاهدة" التي تكشفُ خيانة
ناردين له في اللحظة القاتلة... أريدك أن تظهرني كالملاك المنتقم حين
يُدرّك هو أن "الإلهام" الذي باع روحه من أجله... كان مجرد جاسوسةٍ
تعمل لحسابي.

ارتجفت يد إيلان، وسألت بمرارة :

- ولماذا تساعدني؟ هل أنت أيضًا خُذلت يوماً؟

ضحك مراد ضحكةً جافة، وبدت ملامحه أكثر غموضًا من كتابٍ
محظور :

- أنا لا أؤمن بالخدلان يا إيلان، أنا أؤمن بالاستحواذ. فؤاد يملكُ موهبةً
فطريةً كانت ستجعله ملكًا، لكنه اختار أن يكون شاعرًا فاشلاً. أنا هنا

★ موت بطعم الحب ★

لأضع نهايةً تليقُ بمأساته. انضمي إليّ، وسأمنحك لذةً لا يُعادلها عطرٌ
في العالم... لذة أن تري القاتل وهو يستجدي عفو ضحيته، ولا يجده.
في تلك اللحظة، مدّت إليان يدها لتأخذ الكأس منه، وفي
حركاتها تلك، كانت تُوقّع على "عقد الشيطان"؛ لم تكن تُوقّع
لاستعادة فؤاد، بل لتتأكد من أنه لن يخرج من هذه اللعبة حيًّا
بمشاعره.

خلف زجاج المكتب، كان النيل يبدو كأفعى سوداء عملاقة،
وكان جلال يقفُ عند عتبة الباب، يُراقبُ هذا التحالف الجديد
بابتسامة باردة. لقد اكتملت أركانُ الجريمة؛ مراد هو العقل،
ناردين هي الفخ، جلال هو الخائن... وإليان، إليانُ هي الآن
"السكين" التي سيُذبحُ بها قلبُ فؤاد.

في دهاليزِ الذاكرةِ المثقوبة، حيث بدأ النملُ الأبيضُ ينهشُ في
خشبِ التفاصيلِ الصغيرة، استيقظ فؤاد في ساعة متأخرة من

★ موت بطعم الحب ★

فجر القاهرة الشاحب. لم يكن استيقاظًا عاديًا، بل كان "قزعًا"
كيميائيًا تشبَّعت به خلاياه.

وقف في منتصفِ مختبره، يُحيطُ به صمتٌ لزجٌ لا يقطعه سوى
أزيزِ الأجهزة التي لا تهدأ؛ نظرَ إلى طاولةِ الرخام، فرأى قارورةَ
مائه التي ملأها قبل ساعاتٍ تقفُ وحيدةً بعيدًا عن مكانها
المعتاد.

أغمضَ عينيه، يحاولُ استعادة مشهدٍ وضعها هناك، فلم يجد
سوى ضبابٍ كثيفٍ...

"هل وضعها هو؟ أم أن يدًا أخرى كانت تعبثُ بجغرافيا المكان
بينما كان هو غارقًا في سُكرِ الياسمين؟"

تحسَّس سلسلةَ ساعته المعلقةً بخصره... "المفتاح" لا يزال
مكانه، لكنه شعرَ ببرودته تلسعُ جلده كأنه قطعةٌ ثلجٍ مسمومة...

★ موت بطعم الحب ★

في تلك اللحظة، انبعث من زوايا الغرفة صوت هسيس خفي، لم يكن سوى صدى الكلمات التي قالها له جلال ذات مرة:

- البيوت التي تُبنى على الوعود المنسيّة، هي أول ما يسقط حين تهبّ رياح الخذلان.

بدأ الشك ينسلّ إلى عقله كخييط دخانٍ أسود. تذكر وجه ناردين؛ لم تكن ملامحها في ذاكرته الآن بتلك الرقة التي رآها بها بالأمس، بل بدت له كقناعٍ شمعيٍّ كادَ يذوبُ تحت وطأة نظراتها التي كانت تسرقُ "شفرة الزجاج" أكثر مما تمنحه الدفء.

لماذا كانت تسأل عن موازين "المُرّ" بدقةٍ لا تليقُ بهواية؟ ولماذا كان الخاتمُ الفضيُّ على إصبعها يبدو وكأنه "ختمٌ" لمملكةٍ لا يعرفها؟

★ موت بطعم الحب ★

خرج فؤاد إلى شرفة المختبر، استنشَق هواء الزمالك البارد،
فشعرَ برائحة شيءٍ يحترق بعيدًا؛ لم يكن حريقًا في بناية، بل
كان حريقًا في "الأمان".

نظرَ نحو هاتفه الملقى على الأريكة، رأى وميض الأرقام التي
زارت سجله ولم يرد عليها؛ أسماءٌ تلاشت، وتفاصيلٌ بدأت
تُمحى، وكأنَّ هناك مَنْ يمسحُ حياته القديمة ليتركَ له "ناردين"
فقط... كزنانةٍ من عطر.

تمتم لنفسه بصوتٍ مخنوق :

– أنا لا أنسى فحسب... أنا أُسَلِّب؛ هناك مَنْ يُعيدُ ترتيب
فوضاي ليصنع منها فخًا.

★ موت بطعم الحب ★

وفي تلك الأثناء، ومن خلفِ عمود إنارةٍ قديمٍ في الشارعِ المقابل، كانت هناك سيارةٌ سوداءُ تتركنُ في الظل... داخلها، كان مراد يُراقبُ تلك الشرفة، وبجانبه إيلان التي كانت تضغطُ على أظافرها حتى أدمت كفها.

قال مراد بنبرةٍ وحشيّةٍ :

- انظري إليه... لقد بدأ الشكُّ ينهشُ عظامَ كبريائه؛ العطارُ الذي كان يظنُّ أنه يملك أنفَ العالم، لا يستطيع الآن أن يشمَّ رائحةَ الخيانةِ التي تفوحُ من ثيابه.

أما جلال، الذي كان يختبئ في دهاليزِ المبنى، فقد كان يحملُ في يده قارورةً صغيرةً سلبها من فؤاد في لحظةٍ سهو... قارورةٌ لم تكن تحتوي على عطر، بل كانت تحتوي على "خلاصة الضعف" التي سيُطالب فؤاد بسدادِ دينها قريبًا.

لقد بدأ "خريف التفاصيل" يا فؤاد، وما تساقطُ من ذاكرتك الليلة، لن يعودَ أبدًا ليحميكَ من أنيابِ الغد.

★ موت بطعم الحب ★

أمانُ الجُهدِ خَيْرٌ مِنْ عَجمِ الحَقِيقَةِ

★ موت بطعم الحب ★

بينما كان الصمتُ يغلفُ ردهاتِ البنايةِ العتيقة، كان جلال يقبعُ
في زاويةٍ مظلمةٍ من الدرج، يرقبُ البابَ الذي تفوحُ من خلفه
أسرارُ صديقِ عمره، في يدهِ كانت تلك القارورة المسروقة تلسعُ
كفه، كأنها جمرةٌ من نارٍ لا تتطفئ.

هنا، وفي هذا السكون المريب، بدأ شريطُ الذكرياتِ يمرُّ أمام
عينيه كفيلمٍ قديمٍ مخدوش. تذكرَ أيامَ الدراسةِ في مختبراتِ
الكيمياء، حين كان فؤاد يتقاسمُ معه رغيفَ الخبز وذاتَ الحلم.
تذكرَ صوتهُ وهو يضحكُ قائلاً :

- يا جلال، لو وضعتُ يومًا، فأنتَ البوصلةُ التي سترشدني إليّ.

شعر جلال ببرودةٍ تسري في أوصاله. تلك "البوصلة" هي الآن
من تقودُ فؤادَ إلى الهاوية...

★ موت بطعم الحب ★

رأى في مخيلته ملامح فؤاد حين كان يأتّمهُ على أعمق أسرار
تركيباته، وكيف كان ينامُ قرير العين لأن جلال يحرس ظهره...

غصّة مريّة وقفت في حلقه؛ هل يستحقّ هذا الرجل الذي لم
يعرف الغدر يوماً أن يُباع في سوقِ النخاسةِ العطرية؟ هل
تستحقّ سنواتُ الرفقة أن تُقايسَ بحفنةٍ من الورق الملون؟

أغمض جلال عينيه، فتمثّل له وجهُ فؤاد وهو شاحب، يُصارعُ
النسيانَ، ينسى قارورةَ مائه، ويضيعُ في تفاصيلِ حياته... وكلُّ
ذلك كان لجلالٍ يدّ فيه.

للحظةٍ واحدةٍ، كادت يدهُ أن تفتحَ القارورةَ لتسكبَ ما فيها وتنتهي
هذه اللعبةُ القذرة. كادَ الضميرُ - ذاك «الوحش» النائم - أن
يستيقظَ ليمزّقَ خطةَ مراد.

★ موت بطعم الحب ★

لكنَّ شيطانًا آخرَ كان يهمسُ في أذنه اليمنى بلهجةٍ وحشية،
تذكّرُ جلالَ مرارةِ الفقر، وتلك الديونَ التي تلاحقه كوحوشٍ
كاسرة، تذكّرُ الوعدَ الذي قطعهُ له مراد؛ «حقيبةٌ ممتلئةٌ
بالدولارات»، حياةٌ رغيدةٌ في بلدٍ آخر، بعيدًا عن روائحِ المعاملِ
الرخيصةِ وحياةِ التبعية.

فتحَ عينيه، فبرقت فيهما لمعةُ الطمعِ القاتلة. تحسّسَ في مخيلتهِ
لمسَ الأوراقِ النقدية، صريرها، ورائحةِ المالِ التي لا تُعادلها
رائحةُ أيِّ عطرٍ صنعه فؤاد، تذكّرُ القصرَ الذي سيشتريه،
والسيارةَ التي ستُقلُّه، والجاهَ الذي سيعوّضه عن سنواتِ
التهميش.

– آسفٌ يا صديقي.

همسَ جلالٌ في سرِّه بنبرةٍ جافةٍ خلت من كلّ رحمة :

★ موت بطعم الحب ★

- الأمانُ الذي منحتني إِيَّاهُ كانَ دَيْنًا ثَقِيلًا، واليوم... جاءَ وقتُ
السداد... القلوبُ التي تحفظُ لا لتبني، بل لتكسِّسَ الذخيرة، كانت
قلبي أنا؛ لقد كنتُ ساذجًا بما يكفي لتمنحني مفاتيحَ مقتلِكَ، وأنا
جشعٌ بما يكفي لأستخدِمها.

مسحَ جلالٌ دمعَةً لم تنزل، وشدَّ قبضتُهُ على القارورة، ثم نهَضَ
بخطواتٍ ثابتَةٍ نحو الأسفل، لقد ماتَ الصديقُ في داخله، وولَدَ
السمسار... مشى وهو يجرُّ وراءَهُ ذكرياتهما كجثةٍ ثَقِيلَةٍ قَرَّرَ
دفنها في أَوَّلِ منعطف.

بينما كانَ جلالٌ يدفنُ ذكرياته في أَرْقَةِ الزمالك، كانت ناردين
تقفُ خلفَ ستارٍ نافذتها، تُراقِبُ خيوطَ الفجرِ وهي تحيكُ كَفَنًا
لليل؛ رنينُ هاتفها كانَ كَرزَقَةٍ عصفورٍ مشؤومٍ؛ إِنَّهُ فؤاد.

★ موت بطعم الحب ★

فتحت الخطَّ، وجاءها صوته مُتَهَدِّجًا، محملاً بفيضانٍ من
العاطفة التي بدأت تُخنقها :

- ناردين... لا أستطيع الانتظار حتى الغد في المختبر، أريدك
الليلة في مطعم « ليبرتي »؛ أريد أن نحتفل بعطرتنا بعيدًا عن
زجاجات التقطير... أريد أن أراك تحت ضوء الشموع، لا تحت
ضوء المعامل.

أغلقت الخطَّ بوجهٍ يعتصره القرف، وألقت بالهاتف فوق السرير
كأنه جيفة، لم تُطق صبرًا، فتوجَّهت فورًا إلى وكر الأفعى
الكبرى؛ مكتب مراد...

دخلت المكتبَ كعاصفةٍ من الغضب، فوجدت مرادًا جالسًا خلف
مكتبه، يُقَلِّبُ بين أصابعه قلمًا من الذهب، وعيناه غارقتان في
كشوفات الحساب.

★ موت بطعم الحب ★

- لقد بدأ يتجاوز الحدود يا مراد!

صرخت ناردين وهي تضربُ الطاولة بكفِّها المُنمَّق.

- فؤاد يطلبُ موعدًا في مطعم... يريدُ شموعًا، وموسيقى،

واعترافاتٍ غبية؛ لم أتفق معك على هذا! مهمتي كانت سرقة

«التركيبة»، وليس لعب دور الحبيبة الولهانة في مطاعم

الزمالك، هذا الغبي بدأ يُصدِّق كذبتَه، وأنا بدأتُ أختنق من

رائحةِ صدقه.

رفع مرادُ رأسه ببطءٍ، ولم تُحرِّك صرختها شعرةً في بروده

الجليدي. ابتسم ابتسامةً باهتة، وقال بنبرةٍ تهمسُ بالخطر :

- تتضجَّرين؟ هل بدأ ملمسُ الحريرِ يُزعج بشرتكِ يا ناردين؟

- أنا لا أتضجَّر، أنا أرفض!

★ موت بطعم الحب ★

رَدَّتْ بحدّة :

- هذه ليست الخطة. لنجد طريقةً أخرى لسرقة المفتاح؛ لا أريد الجلوس معه لساعاتٍ أسمعُ قصائد الغزل في عيوني التي لم يَعد يراها سوى مخابرٍ تجارب.

قام مرادُ من خلف مكتبه، واقترب منها بخطواتٍ ناعمةٍ لا صوت لها، حتى حاصرها بين جسده والمكتب... انحنى نحو أذنها وهمس بصوتٍ يشبهُ صريرَ القلم على الورق :

- دعينا نُنعش ذاكرتكِ الصغيرة يا عزيزتي... هل نسيتِ «القضية» التي أغلقتُ ملفاتها بمالي ونفوذتي؟ هل نسيتِ تلك الليلة التي كادت أن تنتهي بكِ خلف القضبان بتهمة النصب والابتزاز؟

شحبَ وجهُ ناردين، وتجمدت الكلماتُ في حلقها...

★ موت بطعم الحب ★

تابع مراد وهو يلمس خصلةً من شعرها بقسوة :

- أنا لم أشتري موهبتك في التمثيل لأسمع شكواك، أنا اشتريتُ حياتك بالكامل... إذا طلب منك فؤاد أن تذهبي إلى المطعم، ستذهبين... وسترتدين أجمل فساتينك، وستبتسمين له كما لم تبتسمي لأحدٍ من قبل؛ ستجعلينه يغرقُ فيك حتى يُسلِّمك المفتاح، والقلب، والتركيبة... وهو ممتن.

ضغط على كتفها بقوةِ المتها :

- تذكرني يا ناردين... أنتِ لستِ شريكتي، أنتِ «أداة»؛ والأداة التي تبدأ في الاعتراض تُرمى في سلة المهملات... وأنتِ تعرفين جيداً ما الذي ينتظركِ في سلة مهملاتي... اذهبي إلى المطعم، وكوني «الناردين» التي يهواها... وإلا سأعيدكِ إلى الرصيف الذي انتشلتكِ منه، ولكن هذه المرة بصفاتٍ جنائيةٍ لا تُحى.

★ موت بطعم الحب ★

خرجت ناردين من المكتب وهي ترتجف، ليس من البرد، بل من حقيقة أنها وقعت في فخٍ أكبر من فخِ فؤاد؛ كانت تشعرُ بـ«الهشاشة» التي كُتبت عنها؛ ضعُفها صار دينًا يُطالبها مرادُ بسداده من كرامتها.

في غرفتها التي استحالت إلى زنزانةٍ من الذكريات، كانت إليان تقفُ أمام المرأة، لكنها لم تكن ترى وجهها، بل كانت ترى «أنقاض» امرأةٍ ظنَّت يومًا أن الوفاء حصنٌ لا يُخترق؛ مسحت بلمسةٍ باردةٍ على عنقها، حيث كان فؤادُ يومًا يختبرُ عطوره الجديدة، وكأنَّ أصابعه لا تزالُ تتركُ حروقًا لا تبرأ.

- يريدون العطر...

همست لنفسها بصوتٍ مبجوحٍ يشبهُ حفيفَ الأفاعي في ليلةٍ شاتية :

★ موت بطعم الحب ★

- مرادُ يريدُ الأرقام، الموازين، والنَّسب المئوية التي ستُنْدرُ عليه الذهب، وجلالُ يريدُ الورقَ الأخضرَ الذي سيسدُّ به ثقبَ جشعه، أمّا ناردين... فهي لا تريدُ شيئاً سوى النجاة بجسدها من مخالبٍ مراد.

اقتربت من المرأة أكثر، حتى تلاقت أنفاسُها ببرودة الزجاج، وتابعت بنبرةٍ وحشية :

- كلُّهم لصوِّ صغار، يطاردون «قارورة» زجاجية؛ أمّا أنا... فأنا أريدُ ثمنًا لا يُقاس بالمال، ولا يُكتبُ في صكوكِ البيع والشراء. أنا أريدُ ثمنَ كلِّ نبضةٍ قلبٍ استهلكها فؤاد وهو يكذب، ثمنَ كلِّ ليلةٍ أعددتُ فيها القهوةَ لانتظاره وهو يُقَطِّر «الخيانة» في مختبره.

★ موت بطعم الحب ★

لمعت عيناها ببريقٍ مخيف، وأكملت:

- لياخذوا هم «التركيبة»، وليأخذوا «الاسم»، وليأخذوا
«المختبر»؛ أمّا أنا... فسأخذُ من فؤاد «يقينه»، سأنتزعُ منه ذاك
الكبرياء الذي جعله يظنُّ أنني مجردُ محطةٍ عابرةٍ في رحلة
هوسه، سأجعله يُدركُ أنَّ مَنْ كانت مأواه، هي ذاتها مَنْ ستهدمُ
السقفَ فوق رأسه...

لن أريقَ قطرةً دمٍ واحدة؛ فالدمُ رخيصٌ أمام مرارةِ الخيبة، سأتركه
حيًّا... لكن بلا روح، بلا وجه، وبلا عطرٍ يُوارِي به سواةً روحه
المحروقة.

أمسكت بقارورةٍ عطرٍ زفافهما المنسي، ولم تكسرهما، بل فتحتها
وسكبتها ببطءٍ على الأرض، وراقبت السائل وهو يتسرّبُ في
شقوقِ الخشب.

★ موت بطعم الحب ★

- خيانة القلب لا تُغسلُ بالاعتذار، بل تُسدَّدُ من رصيدِ الوجود.
اذهب يا فؤاد إلى مآذبةِ الأفاعي، وظنَّ أنك الملك... بينما
الحقيقة أنك «الوليمة» التي أعددتُها أنا بيدي، لأكلَ قلبك بدمٍ
بارد...

كانت عقاربُ الساعةِ في مختبرِ فؤاد تتحرَّكُ ببطءٍ قاتل، كأنها
تتعمَّدُ إطالةَ دقائقِ انتظاره؛ وقف فؤادُ أمامَ المرآةِ الكبيرة التي
تتوسطُ غرفةَ تبديلِ ملابسه، لكنه لم يكن يرى رجلاً يرتدي حُلَّةً
سوداءَ فاخرة، بل كان يرى «خالقَ عطور» يوشكُ على تتويج
ملكته.

أمسك بزجاجةِ عطرٍ صغيرة، لم تكن تحمل اسمًا، بل كانت
تحمل «السر»؛ وضع منها قطرةً واحدةً خلف أذنيه، ففاحت
رائحةٌ تجعلُ المرءَ يشعرُ وكأنه يقفُ في غابةٍ لم تطأها قدمُ بشرٍ
بعد؛ رائحةُ الأمانِ قبل أن يتدنَّسَ بالخيانة.

★ موت بطعم الحب ★

همسَ لصورته في المرأة :

- الليلة يا ناردين... الليلة ستكتملُ المعادلة سأمحك المفتاح،
ليس فقط مفتاحَ الخزانة، بل مفتاحَ الروح التي استعصت على
الجميع... إلا عليك.

كان فؤاد يغرقُ في «أمانِ الجهل»؛ كان يظنُّ أنَّ الشموعَ التي
سُتضاء في مطعم «ليبرتي» هي شموعُ ميلادِ حبهما، ولم يُدرك
أنها شموعُ جنازةٍ كبريائه.

وفي الجانبِ الآخرِ من المدينة، في شقةٍ يملأُ هواءها القلقُ
والرطوبة، كانت ناردين تجلسُ أمام طاولتها، تنتظرُ إلى أدواتِ
زينتها وكأنها أدواتُ جريمة؛ كانت تضعُ أحمرَ الشفاهِ القرمزيِّ
بدقةٍ متناهية، لكنَّ يديها كانتا ترتجفان كلما تذكرت تهديدَ مراد،
شعرت بصاعقةٍ تضربُ عمودها الفقري.

★ موت بطعم الحب ★

– أنا لستُ أداة...

زمرت بصوتٍ خفيض، وهي تنتظرُ إلى عينيها اللتين تعبتا من التمثيل.

– أنا لستُ سلّة مهملات يا مراد، لكنني اليوم سأكون القاتل والمقتول في آنٍ واحد.

اختارت فستانًا أسودَ طويلًا، بلا تفاصيل، كأنه قطعةٌ من الليل، لم تكن تريدُ أن تبدو جميلةً فحسب، بل كانت تريدُ أن تبدو «مقدّسة» في عيني فؤاد، لتسهّل عمليةَ الذبح النفسي؛ دسّت في حقيبتها الصغيرة زجاجةً مجهولةً منحها إياها جلال؛ مُخدّر خفيفٌ لا لونَ له ولا رائحة، لزوم «ساعة الصفر» إذا ما تعثّرت المفاوضاتُ حول المفتاح.

★ موت بطعم الحب ★

بينما كانت «الضحية» و«الصيد» يتجهَّزان، كان مرادٌ يجلسُ في سيارته الفارهة، مركونًا في زاويةٍ مظلمةٍ تُطلُّ على مدخلِ المطعم وبجانبه كانت إليان، التي ارتدت حجابًا قاتمًا ونظاراتٍ سوداء تُخفي وراءها عيونًا لا تنام.

— هل أنتِ مستعدةٌ لمشاهدة السقوط يا إليان ؟

سأل مراد وهو يُدخِّن سياره ببرود.

لم تُجب إليان فورًا كانت تُراقبُ واجهةَ المطعم اللامعة، وتُفَكِّرُ في أنَّ «الحرية» " ليبرتي " التي اختارها فؤاد كاسمٍ للمكان، ستكونُ أبعدَ ما يكونُ عنه الليلة.

★ موت بطعم الحب ★

قالت أخيرًا بنبرةٍ وحشية :

- أنا لا أنتظرُ السقوط يا مراد... أنا أنتظرُ «الارتطام»؛ أريدُ
أن أسمعَ صدى انكسارِ قلبه وهو يُدركُ أنَّ العطرَ الذي صنعه
للخلود... كان رائحةً زواله.

تحركت سيارةُ فؤاد لتتوقّف أمام بابِ المطعم؛ نزل منها بكاملِ
أناقته، يحملُ باقةً من الوردِ النادر، متوجّهًا نحو الطاولةِ رقم
«٩»... الطاولة التي ستشهدُ كتابةَ الفصلِ الأخير من روايةِ
الأمان.

بينما كان صخبُ «الزمالك» يتدفّق في الشوارعِ المحيطة بمطعم
«ليبرتي» مثل نهرٍ من الأضواء والضجيج، كان جلالٌ يقفُ
بعيدًا، منزويًا في ركنٍ مُعتمٍ بجوار حائطٍ قديمٍ تفوحُ منه رائحةُ
الرطوبةِ والزمن.

★ موت بطعم الحب ★

لم يكن يجروُ على الدخول، ولم يكن يملكُ القوةَ للرحيل. كان يشعرُ وكأنه «الغراب» الذي يحومُ فوقَ وليمَةٍ لا تخصُّه، لكنه هو مَنْ أرشد الصيادين إليها.

أخرج سيجارةً بيدٍ ترتعش، وأشعلها بلهبٍ بدا في الظلام كأنه عينٌ شيطانيةٌ صغيرةٌ تُراقبُ ندمه؛ نظر إلى مدخلِ المطعم، رأى فؤاد وهو يدخلُ بخطواته الواثقة، يحملُ الورود بلهفةٍ مَنْ يظنُّ أنه ملكُ العالم.

– يا لصداقتنا التي ذبحتها على عتبة طمعي.

همس جلال لنفسه وهو ينفثُ الدخان في وجه الليل.

بدأ شريطُ الذكريات يجرُّ أذياله في عقله مرةً أخرى، لكن هذه المرة بـ«وحشية» أكبر...

★ موت بطعم الحب ★

تذكّر يومَ قرّر فؤاد أن يضع «كلمة السر» لخزنته، وكيف اختار
تاريخَ ميلادِ والدَةِ جلالِ المتوفاة كنوعٍ من الوفاءِ المطلق؛ تذكّر
كيف قال له فؤاد يومها :

- أنت خزانتي يا جلال، وما هذا القفلُ إلا مجردُ حديدٍ لا قيمةَ
له أمام أمانِي فيكَ.

شعر جلال برغبةٍ في التقيؤ؛ ذاك الأمانُ الذي منحه فؤاد إياه،
صار الآن «خريطةً» رسمها جلال لمراد وناردين ليعرفوا أين
يغرسون نصالهم.

لم تكن ناردين هي مَنْ تسرقُ فؤاد الآن، بل كان جلال هو مَنْ
يُمسكُ يدها ويوجّهها نحو الوريد.

★ مَوْتٌ بِطَعْمِ الْحَبِّ ★

أَخْرَجَ مِنْ جَيْبِهِ رِزْمَةً صَغِيرَةً مِنَ الْمَالِ كَانَ مُرَادٌ قَدْ مَنَحَهَا إِيَّاهُ
كَـ«عَرَبُونَ» لِلْغَدْرِ؛ تَحَسَّسَ مَلَمَسَ الْأُورَاقِ؛ لَمْ تَكُنْ نَاعِمَةً كَمَا
تَخَيَّلُهَا، بَلْ بَدَتْ لَهُ خَشَنَةً كَجِلْدِ جَثَّةٍ، وَتَفَوَّحَ مِنْهَا رَائِحَةُ «الْكَمْدِ»
وَالصَّدَأِ.

فَجَاءَهُ، غَلَبَهُ خَاطِرٌ مَجْنُونٌ :

— مَاذَا لَوْ اقْتَحَمْتُ الْمَطْعَمَ الْآنَ؟ مَاذَا لَوْ صَرَخْتُ فِي وَجْهِ فُؤَادِ
وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ كُلَّ هَذَا فَخٌّ؟

لَكِنَّهُ سَرَعَانَ مَا نَظَرَ نَحْوَ السَّيَارَةِ السُّودَاءِ الرَّابِضَةِ فِي الظِّلِّ،
حَيْثُ يَقْبَعُ مُرَادٌ، تَذَكَّرَ «الْدِّيُونِ»، تَذَكَّرَ «التَّهْدِيدِ»، وَتَذَكَّرَ أَنَّ
الْوَحْشَ الَّذِي بَدَاخَلَهُ قَدْ شَبِعَ مِنْ وَعْدِ الْغِنَى لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ
يُبَالِي بِمَوْتِ الصَّدِيقِ.

★ موت بطعم الحب ★

لقد اختار جلال أن يكون «الدائن» الذي يُطالبُ بسدادِ ثمنِ وفائه سيّاطاً على ظهرِ فؤاد...

ابتلع ريقه المُرّ، وألقى بعقبِ سيارته تحت حذائه وسحقه بقوة، وكأنه يسحق ما تبقى من «جلال القديم»؛ استدار وظهره للمطعم، وبدأ يبتعد في الأزقة الجانبية، تاركاً صديقه يواجه مصيره وحده تحت أضواء الشموع الزائفة.

لقد كان جلالٌ يجرّ وراءه «شريطَ ذكرياتٍ» مقطوعاً، وكلما خطا خطوةً، كان يشعر أن المسافةَ بينه وبين السماء تزدادُ بُعداً، وأن الأرض تحت قدميه بدأت تتحوّل إلى رمادٍ من رائحةِ العطر الذي باعه.

في مسارحِ الغدر، تحترقُ الشموعُ لتضيءَ وجهَ السكينِ لا الحبيب...

★ موت بطعم الحب ★

دلفت ناردين إلى رحاب «ليبرتي» كقصيدة نثرية كُتبت بمدادٍ
أسودَ على ورقٍ من عاج؛ لم يكن ثوبها مجردَ قماش، بل كان
«غسقًا» مُجسّدًا يلتفُّ حول جسدِ امرأةٍ خُلقت لتكون فِتْنَةً
ومِحْنَةً.

كان وقعُ خطاها على الرخام يهمسُ للأرض :

- استعدي... فالخيانةُ الليلةَ ترتدي أبهى حُلَّها.

في الزاوية البعيدة، كان فؤاد يجلسُ كعابدٍ في محرابٍ انتظاره.
حين لاحَ طيفُها، شعر وكأنَّ أبوابَ السماءِ قد فُتحتَ لتمطرَ
عليه ياسمينًا، ولم يُدرك أنَّ هذا المطرَ ليس إلا «ملحًا» سيُذيبُ
جروحَه لاحقًا؛ وقف بلهفةٍ الغريقِ الذي أبصرَ الشاطئ، وما علم
أنَّ الشاطئَ سرابٌ، وأنَّ البحرَ خلفه يبتلعُ التاريخ.

- ناردين...

★ موت بطعم الحب ★

نطقَها فؤاد، فخرج الاسمُ من بين شفّتيه مُتَقَلِّلاً بالحنين، كأنه
«آيةُ حبٍّ» تُتلى في زمنِ الكفر.

- لو علمَ الليلُ مَنْ زاره، لانسحبَ خجلاً من سوادِ عينيكِ الذي
فاقَ سكوته.

جلستِ ناردين، وكانت تضعُ على وجهها قناعاً من «السكينةِ
المذبوحة»؛ نظرت إليه بعينين تلمعانِ ببريقِ زائف، وقالت
بصوتٍ يشبهُ حفيفَ أوراقِ الخريفِ قبل السقوط :

- يا فؤاد... أحياناً أخافُ من هذا الضوءِ المبهر؛ القلوبُ التي
تعتادُ العتمة، يؤلمُها وهجُ الصدق... أشعرُ أنَّ هذا العطرَ الذي
ننسجُ خيوطه، ليس إلا كفنًا عَطرًا لسرٍّ لا يجبُ أن يُقال، أترأه
حبًّا هذا الذي بيننا... أم هو «قربانٌ» نُقدِّمه لآلهةِ العطرِ
لترضى عنا ؟

★ موت بطعم الحب ★

كانت كلماتها « سُمًّا مُغْلَقًا بالشهد »؛ فؤاد، بقلبه الذي لم يقرأ
من كُتُبِ الحياةِ سوى فصولِ النقاء، أمسك يدها كأنما يُمسكُ
«مصحفًا» قديمًا، وقال بنبرةٍ تقطرُ شاعرية :

- يا رفيقةَ الروح، العطرُ لا يكونُ لعنةً إلا إذا خلا من أنفاسِ
مَن نحب؛ وهذا المفتاحُ الذي يُطَوِّقُ معصمي، ليس لِقفلِ
زجاجة، بل هو العهدُ الذي بيني وبين القدر...

الليلة، سأفتحُ لكِ خبايا النفسِ قبل خبايا المختبر، سأمنحكِ
الأمانَ الذي لم تذقه امرأةٌ من قبل.

خلفَ النافذة، كان الظلامُ يبتلعُ كلَّ شيء، وكانت إليان تقفُ
كطيفٍ هائم، تنظرُ إليهما وتهمسُ في سرِّها :

★ موت بطعم الحب ★

- فؤاد... مَنْ ظَنَّ أَنَّ الأمانَ يُشْتَرى بالعطر، ماتَ مخنوقًا
برائحةِ أوهامِهِ... كُلُّ وليمَتِكَ الليلةَ بالهناء، فغداً... ستمضُ
خبيبتك بمذاقِ العلقم.

كانت الأجواء داخل مطعم «ليبرتي» تزدادُ ثِقَلًا، كأنَّ الهواءَ قد
استحالَ إلى رصاصٍ لا تَقْوَى الرئتانِ على حَمَلِهِ؛ الشموعُ التي
كانت تتراقصُ في بدايةِ السهرة، بدأتِ تذوبُ بصمتٍ كأنها تبكي
عمرَ فؤاد المهدور؛ لم يكن النادلُ الذي يمرُّ بين الطاولاتِ ببدلةٍ
رسمية، بل كان في نظرِ ناردين «مَلَكًا» يُهَيِّئُ طقوسَ التضحية.

أمسك فؤاد كأسه، وبدأ يرتشفُ منها قطراتِ ظَنِّها ترياقيًا لروحه
المتعبة، لكنَّ خيطًا من النورِ سَقَطَ غدرًا على يدِ ناردين...
هناك، فوق إصبعها الذي طالما لَتَمَهُ بالوفاء، استقرَّ الخاتم...
كان النقشُ دقيقًا لدرجةٍ مرعبة؛ أفعى تلتفُّ حول ميزانٍ
مكسور... شعارُ « مملكة مراد »

★ موت بطعم الحب ★

تجمّد الزمانُ في تلك اللحظة، شَعَرَ فؤاد ببرودةٍ تسري في عظامه، برودةٍ لا علاقة لها بمكَيّفاتِ الهواء، بل هي صقيعُ «الخدِيعَة» حين تتضج؛ نظر إلى الخاتم، ثم إلى عيني ناردين، ورأى فيهما انعكاسَ نفسه؛ ضحيةً سَارَتْ إلى مَذْبَحِها وهي تبتسم.

- ناردين ...

خَرَجَ صَوْتُهُ مَبْجُوحًا، كَأَنَّ حِبَالَهُ الصَوْتِيَّةَ قَدْ اسْتَسْلَمَتْ لِلصَّدَأِ.

- هذا الخاتم... لماذا يحملُ رائحةً «مراد»؟ لماذا يرتدي

إصْبَعُكَ رَمَزَ الرَّجُلِ الَّذِي أَرَادَ تَحْطِيمَ مَخْتَبِرِي؟

مالَتِ ناردين بجسدها نحوه، وتلاقَتِ أنفاسُهما الباردة؛ لم تكن

هناك رحمةٌ في نظريتها، بل كان هناك ذلك الغموضُ الذي

يسبقُ العواصف...

★ موت بطعم الحب ★

قالت بنبرة شاعرية قاتلة :

- يا فؤاد... في دُنْيا المَصالح، القلوبُ ليست إلا قِطْعًا من
الشطرنج، يُحرِّكها مَنْ يملكُ الذهب؛ هذا الخاتمُ ليس ملكي، بل
هو مَنْ يملكني، إنه « الوَسْمُ » الذي كُتِبَ به قدري قبل أن
تعرفني أنت؛ أنتَ كُنْتَ تَبْحَثُ عن «عطرِ الخلود»، وهم كانوا
يبحثون عن «سارقِ الخلود»... وأنا لم أكن إلا الجسرَ الذي
ستعبرُ فوقه أقدامهم لتسحقَ أحلامك.

شعر فؤاد برأسه يثقل، وبدأت الجدرانُ من حوله تتمايلُ كأنها في
مَهَبِّ رِيحٍ عاتية؛ كانت «قطرةُ العدم» التي وضعتها ناردين قد
بدأت تَعْمَلُ كحبرٍ يمحو سُطورَ الوعي؛ أرادَ أن يصرخ، أن يقلبَ
الطاولة، أن يكسرَ ذلك الخاتم، لكن عضلاته خانتها.

- اشرب يا فؤاد...

★ موت بطعم الحب ★

تابعت نارين بصوتٍ هادئٍ مخيف :

- اشرب لكي لا تَرى بؤسَكَ في مرآة الحقيقة، فالوجعُ الذي

سَتَشْعُرُ به وأنت نائم، أخفُّ بكثيرٍ من ذُلِّ اليَقْظة.

ارتطمت يدُ فؤاد بحافة الطاولة، فسقطت الكأسُ وتتأثرت

شظاياها كأنها نُجومٌ مُنطَفئة، مالَ برأسه ببطء، وفي آخرِ

لحظاتِ إدراكه، رأى ظلاً أسودَ يَقْتَرِبُ من الطاولة، ظلاً طويلاً

بارداً يَحْجُبُ عنه ضوءَ الشمعةِ الأخير؛ استسلمَ للغسق، وغابَ

عن العالم وهو يَسمَعُ صريرَ كرسيِّ يُسَحَبُ بجانبه... وصوتَ

أنفاسٍ غريبةٍ تَهْمَسُ :

- لقد اكتملتِ الصفقة...

★ موت بطعم الحب ★

بينما كانت ناردين تهمس بكلماتها المسمومة، بدأ وعي فؤاد ينسلّ من بين أصابعه كحفنة رمل، انطفأت أضواء المطعم في عينيّه، لكنّ شاشةً أخرى انفتحت في أعماق جمجمته... شاشةً بعبق الماضي وجراح السنين.

تمثّل له وجه أبيه، العطار العجوز الذي أورثه سرّ المهنة ونقاء السريرة. رأى يدي أبيه المتشققتين وهما تمسكان بكتفيه بقوة، وسمع صوته الرخيم يتردد كأنه آتٍ من بئرٍ سحيقة :

" يا فؤاد... يا بني، العطرُ أمانة، والسرُّ كالعرض لا يُباع؛ احذر من (الأفاعي الناعمة) التي تسكن القوارير المزخرفة، واحذر أكثر من القلوب التي لا يفوح منها عطرُ الندم... فإذا استأمنك ذئبٌ على غنمك، فلا تلمه، بل لُِّم نفسك لأنك نسيتَ غريزته "

★ موت بطعم الحب ★

غصَّ فؤاد بدمعةٍ لم تجد طريقًا لمآقيه المخذولة كان والده يحذره
من "مراد" منذ البداية، لكنَّ عمى الحب كان أشدَّ نكالًا.

وفجأة، انبثق من وسط الضباب وجهٌ مراد... لم يكن وجهه
الحالي، بل وجهه قبل عشر سنوات، حين كانا يجلسان على
مقاعد الدراسة...

تذكر فؤاد تلك اللحظة التي سقط فيها قلم مراد الذهبي، وانحنى
فؤاد ليلتقطه، فرأى مراد ينظر إليه بنظرةٍ لم يفهمها حينها...
نظرة "الجزار" الذي يقيم وزن الذبيحة قبل ذبحها.

تذكر قوله له بضحكةٍ باردة :

- يومًا ما يا فؤاد، سأمتلكُ كلَّ ما تصنعه يداك، ليس بالقوة، بل
لأنك ستعطيني إياه وأنت تبترسم.

كانت تلك هي النبوءة التي لم يقرأها فؤاد إلا الآن.

★ موت بطعم الحب ★

في زقاقٍ ضيقٍ يبتلعه الصمت، حيث تَبْصُقُ الجدرانُ العتيقةُ
أسرارَ العابرين، وقفت ناردين تُسندُ جسدَها المنهك إلى حائطٍ
بارد؛ كانت أنفاسها تخرجُ مَذْعُورة، كعصافيرٍ حُبِسَتْ في قفصٍ
من نار؛ نظرت إلى كفيها، فحِيلَ إليها أَنَّ بَقايا النبيذِ المسمومِ
الذي سَقَتْهُ لَفْؤَادٍ قد صَبَغَتْ جلدَها بلونِ "الأرجوانِ الكاذبِ "

وفجأة... دُونَ وَقَعِ أَقدام، ودُونَ سابقِ إنذار، بَرَزَ من بَيْنِ
الظلالِ طيفٌ لامرأةٍ تَرْتَدِي " الليل " رداءً... لم تكن وجهُها
غريباً، بل كانت نُسخةً من وجعٍ قديمٍ

– أهذا هو الثمنِ إذن؟

خَرَجَ صوتُ إليان كحفيفِ أجنحةٍ غرابٍ فوق مَقبرة.

★ موت بطعم الحب ★

- أن نَبِيْعَ خَالِقِ العُطُورِ لِنَشْتَرِيْ عَقْدًا مِنْ مِلْحٍ؟ انْظُرِيْ إِلَى
يَدِكَ... ذَلِكَ الْخَاتَمُ لَيْسَ زِينَةً، إِنَّهُ "قَيْدُ الْغَوَايَةِ" الَّذِي لَا يُنْزَعُ إِلَّا
بِنَزْعِ الرُّوحِ؛ لَقَدْ سَقَيْتِهِ الْغِيَابَ، فَظَنَنْتِ أَنَّكَ نَجَوْتَ، وَمَا عَلِمْتَ
أَنَّ الشَّارِبَ قَدْ نَامَ، لَكِنَّ السَّاقِيَّةَ سَتَسْهَرُ أَبَدَ الدَّهْرِ تَمَضُّعُ نَدَمِهَا.

ارْتَجَفْتَ نَارِدِينَ، وَتَرَايَعْتَ خُطْوَةً إِلَى الْوَرَاءِ كَأَنَّمَا تُوَاجِهُ شَيْطَانًا
مَرِيدًا.

- مَنْ أَنْتِ؟ وَكَيْفَ تَتَسَلَّلِينَ إِلَى خَبَايَا صَدْرِي كَأَنَّكَ رِيحٌ
مَسْمُومَةٌ؟

اِقْتَرَبْتَ إِلَيَّ أَكْثَرَ، حَتَّى تَلَاقَتِ أَعْيُنُهُمَا فِي مَنَظِقَةٍ لَا يَصُلُّهَا
الضُّوءُ...

★ موت بطعم الحب ★

هَمَسَتْ بِصَوْتٍ يَمْلُؤُهُ الرَّعْبُ الْمُغْلَفُ بِالْبَيَانِ :

- أنا "الأمس" الذي تَجَاهَلْتِهِ، وأنا "الغد" الذي سَتَخَافِينِ مِنْهُ؛ أنا المَرَأَةُ
التي رَأَتْ فُؤَادَ وَهُوَ يَغْزُلُ مِنْ شَذَا الْوَرْدِ عَهودًا، ورَأَيْتُكَ وَأَنْتِ تَغْزِلِينَ مِنْ
بَرِيرِ طَمَعِكَ كَفَنًا، تَظُنِينَ أَنَّ "سَاعَةَ السِّرِّ" التي سَرَقَتْهَا سَتَفْتَحُ لَكَ أَبْوَابَ
الْجَنَانِ؟ لَا يَا صَغِيرَةَ... تِلْكَ السَّاعَةُ هِيَ "عَقْرُبُ الْجَحِيمِ"، وَكُلُّ دَقِيقَةٍ
تَمْضِي فِيهَا، هِيَ مِسمَارٌ يُدَقُّ فِي نَعْشٍ مَا تَبْقَى مِنْ إِنْسَانِيَتِكَ.

سَادَ مَكَانَ اللَّقَاءِ صَمْتُ جَنَائِزِي، كَأَنَّ الْهَوَاءَ قَدْ رَفَضَ أَنْ يَحْمَلَ
كَلِمَاتِهِمَا بَعْدَ الْآنِ؛ نَظَرْتُ نَارِدِينَ حَوْلَهَا، فَبَدَتْ لَهَا ظِلَالُ الْمَبَانِي كَأَنَّهَا
وَحُوشٌ تَتَفَتَحُ أَفْوَاهُهَا لِابْتِلَاعِهَا.

قَالَتْ نَارِدِينَ بِنَبْرَةٍ مَبْجُوحَةٍ :

- لَقَدْ فَعَلْتُ مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يُفْعَلَ... الْمَوْتُ مَرَّةً وَاحِدَةً أَخْفُ مِنْ
الْإِحْتِضَارِ كُلِّ يَوْمٍ عَلَى رَصِيفِ الْحَاجَةِ.

★ موت بطعم الحب ★

ردت إيلان وهي تتلاشى مرةً أخرى في العتمة، تاركةً خلفها رائحةً
"بخورٍ" بارد :

- الموتُ الذي مَنَحَتهِ لفؤادِ هو "حياةٌ" مقدسةٌ مُقارَنَةً بما يَنتَظِرُك؛ فَمَنْ
خَانَ بـ"عطر"، سَيُقْتَلُ بـ"نَتنٍ" فِعْلَته...

غداً... حينَ تَسْتَقِطُ المدينة، سَتَبْحِثُ عَن وَجْهِكِ فِي المَرَاة، فلا تَجْدي
سِوَى "خاتمٍ" يَضْحَكُ مِنْكِ... وَسِرٌّ يَقْضُمُ قَلْبَكَ مِنَ الدَاخِلِ.

اِخْتَفَتِ إيلانَ كَأَنها لَمْ تَكُنْ، وَبَقِيَتْ نَارِدينَ وَحَدهَا فِي الزَقَاقِ، تَتَحَسَّسُ
رَقَبَتَها كَأَنَّ حَبالاً مِنْ "مَجَالِ الشَّكِّ" بَدَأَتْ تَلْتَقُّ حَوْلَها، وَشَعُورٌ غَرِيبٌ
يَهْمِسُ لَهَا أَنَّ "المكانَ" الَّذِي تَقْنَعُهُ فِيهِ بِالْهَرَبِ... هُوَ نَفْسُهُ الْفُخُّ الَّذِي
نُصِبَ لِذَبْحِها.

★ موت بطعم الحب ★

فِي مَمْلَكَةِ الْغَدْرِ، يَصِيرُ الْعِظْرُ

قَيْدًا وَالْحَائِمُ لِحَدِّدٍ.

★ موت بطعم الحب ★

بين جدرانٍ تئنُّ بوجعِ القضايا المنسية، وفي غرفةٍ لا يزورها
الضوءُ إلا لِيُعْرِى الحقيقة، جلس جلال أمام المحقق؛ لم يكن
التحقيقُ في مكتبٍ عادي، بل كان في قبوٍ يشبهُ السرايب
المظلمة، حيثُ تفوحُ رائحةُ الورقِ القديمِ والتبغِ والذنوبِ العتيقة.

كان المحققُ يجلسُ خلفَ مكتبهِ الخشبيِّ الضخم، يفركُ مسبحةً
التي تُصدرُ نبيحًا خشبيًا منتظمًا كدقاتِ ساعةِ القيامة.

لم يسأل عن الاسم أو الهوية، بل وضعَ أمام جلال " زجاجةً
عطرٍ فارغة، ووردةً سوداء، وخاتمًا فضيًا مكسورًا " ثم التزم
صمتًا أثقل من الجبال.

★ موت بطعم الحب ★

انفجر جلال بالبكاء، ندمٌ يمزق أحشاءه، وبدأ يحكي وصوته
يرتجف كخيطة دخانٍ في مهبِّ الريح :

- يا سيدي... لم تكن مجرد ليلة في مطعم، كانت مسرحًا
لذبحي قبل ذبح فؤاد، كان دوري هو " العين التي لا تنام "،
كنتُ الظلّ الذي يراقبُ الطريق لمراد، والخيطة الذي يربطُ بين فخّ
ناردين وسكينِ المعلم...

وقفتُ هناك، بعيدًا عن الطاولة، أراقبُ فؤاد وهو يضحكُ بصدقٍ
يقتلني؛ كنتُ أعلمُ أنَّ الموتَ يسبحُ في كأسه، وكنتُ أصمتُ...
والصمتُ في حضرةِ الغدرِ هو الجريمةُ الكبرى.

★ موت بطعم الحب ★

مسح جلال وجهه بيدين مرتعشتين وتابع :

- وضعتُ الوردَ السوداء على الطاولة قبل وصولهما كإشارةٍ
لمراد أن " الضحية " قد حان وقتها... كنتُ أنا من مهدتُ
لناردين طريقها، وأنا من أفتعتُ فؤاد بآن المطعم آمن...

دوري؟ دوري كان "يهودا" الذي قبض الثمن قبل أن يصيح
الديك...

وحين سقط رأسه على الطاولة، لم أشعر بالانتصار، بل شعرتُ
ببرودة القبر تسكن عظامي... رأيتُ ناردين تسرق الساعة،
ومراد يبتسم من بعيد، وبقى أنا... أحملُ وزرَ صديقٍ لم يخني
يومًا، وخننُهُ أنا في كلِّ دقيقة.

★ موت بطعم الحب ★

أطبق الصمْتُ على الغرفة، ومال المحقِّق بجسده، حتى لآحَ
بريقُ عينيه الحادثين من تحت الظلال، وقال بصوتٍ رصينٍ
كأنه القدر :

- يقولون إنَّ الخيانةَ كالعطرِ يا جلال... نضعها لنخفي رائحةَ
أرواحنا، لكنها تظلُّ تفوحُ لتشهدَ علينا؛ لقد وصفتَ دوركَ بإتقان،
لكنك نسيتَ أنَّ مَنْ يزرع الأشواك لا يجني إلا دماءَ قدميه.

أخبرني الآن... أين "المفتاح" الحقيقي الذي لم تجده ناردين في
الساعة؟

صُعِقَ جلال، وشخصت عيناه بذهولٍ مرعب، وكأنه أدرك في
تلك اللحظة أنَّ اللعبةَ أكبرُ من الجميع، وأنَّ الحسمَ لم يبدأ بعد.

★ موت بطعم الحب ★

بين صمتِ الجدرانِ الباردةِ وصوتِ أنفاسِ جلالِ المتهدّجة،
كانت مِسْبَحَةُ المحققِ تطحنُ الوقتَ طحنًا.

لم تكن الغرفةُ مجردَ حَيِّزٍ من جمرٍ ورخام، بل كانت ميزانًا
تُعرضُ فيه الخطايا لتوزنَ بمثاقيلِ الصدقِ والكذب.

توقف المحققُ عن تحريكِ مِسْبَحَتِهِ، وسألَ بنبرةٍ تقطرُ هدوءًا
مميّئًا :

- ناردين كانت تُمثّل... وأنت كنتَ تراقبَ ولكن، لِمَ لَمْ تكن
الساعةُ التي سرقتهَا ناردين من معصمِ فؤادِ كافيةً لمراد؟ لماذا
استدعيتَ أنتَ بالذاتِ لهذا التحقيقِ اليوم؟ هل لأنك كنتَ
المُراقب... أم لأنك كنتَ تُخفي شيئًا لم تجرؤِ هي على لمسهِ؟

★ موت بطعم الحب ★

انتفض جلال، واصطكت أسنانه ببعضها :

- أقسم لك... هي أخذت الساعة! رأيتها بأَم عيني تنزعُها عنه
وهو يغرقُ في غيوبته؛ مراد كان يصرخُ في وجهي لاحقًا لأنَّ
التشفير لم يُفتح... الساعةُ كانت موجودة، لكنَّ " الروح " التي
تفتحُ المفتاح لم تكن هناك.

فؤاد... فؤاد لم يكن يحمل السرَّ في ساعة، بل كان يحمله في
شيءٍ آخر ؟!

هنا، ابتسمَ المحقِّق ابتسامةً باهتة لا تصلُ لعينيهِ، وأخرجَ قفازًا
أبيض، ثم وضعَ فوق المكتبِ قطعةً معدنيةً صغيرة كانت مخبأةً
في معطفِ جلال حين قُبضَ عليه.

★ موت بطعم الحب ★

- إذن، كيف تفسرُ وجودَ هذا النقشِ الصغيرِ في جيبِ معطفك؟
هل سقطَ من السماء، أم أنَّ ناردين لم تكن الخائنة الوحيدة على
تلك الطاولة ؟

شخصت عينا جلال، وتجمّدت الكلماتُ في حنجرته... كانت
تلك هي اللحظة التي أدرك فيها أنَّ المحقق لا يبحثُ عن "ماذا
حدث"، بل يبحثُ عن "مَنْ خانَ الخائن" !؟

- أنتظنُّ أنَّ الأغلالَ تحبسُ الأرواحَ يا سيدي؟ العطرُ الذي
تبحثُ عنه ليس في ساعةٍ مسروقة، ولا في قنينةٍ مكسورة... إنه
فكرة، والفكرة لا تُسجنُ؛ فؤاد لم يكن ضحيةً لي، بل كان ضحيةً
لنقائه في عالمٍ لا يعترفُ إلا بالقاذورات... وأنا، لم أكن إلا
المرأة التي أرتهُ فُبِحَ حقيقته.

★ موت بطعم الحب ★

بين جدرانٍ مُصَمَّتة لا صدى فيها إلا لأنفاسِ الخوف، جلس
مراد؛ لم يكن يجلس جلسة مُتهم، بل جلسة ملكٍ نُزِعَ عن عرشه
وما زال يتوهَّم السُّلطة...

بيروء يتحدى ثقل السلاسل، وبصوتٍ يخرجُ من بين ثنايا نفسٍ
مُظلمة، نطق كلماته الأولى ليَشَقَّ صمتَ الغرفةِ كخنجرٍ
مسموم...

هزَّ المحققُ رأسَه ببطء، وعيناهُ لا تُفارقان وجهَ مراد الحاد كشفرةٍ
مُقصلة :

– المِراةُ لا تدبُجُ مَنْ يَنْظُرُ إليها يا مراد؛ أنتَ لم تكتفِ بالنظر،
أنتَ سَممتَ البئرَ التي شَرِبَ منها صديقُ عمرك.

★ موت بطعم الحب ★

ضحك مراد ضحكةً مكتومة، فيها من البلاغة الموحشة ما
يجعل الروح ترتجف :

- الصداقةُ كذبةٌ جميلة اخترعها الضعفاء ليتحملوا بؤس
الوحدة... أنا منحتُهُ فرصةً ليُخلدَ اسمهُ، لكنه أراد أن يظلَّ
عطّارًا يبيعُ الأوهامَ للعاشقين؛ ناردين؟ ناردين لم تكن خيارِي، بل
كانت قَدَرَه؛ هي المساحةُ الرماديةُ التي بين حُبِّهِ الغبيّ وطمعي
الذكي... هل تلومُ الأفعى لأنها لدغت طفلًا مدَّ يدهُ ليلمسَ
ملمسها الناعم ؟

برق الشرُّ في عيني مراد، واعتدل في جلسته بحدّةٍ قذرة :

- السِّرُّ يسكنُ في المسافةِ بين النبضةِ والشهقة؛ فؤاد دَفَنَ
المفتاحَ في مكانٍ لا تصلُهُ أيدي اللصوصِ أمثالي، ولا مناطقِ
القوانينِ أمثالكم.

★ موت بطعم الحب ★

أَتَظُنُّ أَنَّ الْوَرْدَةَ السُّودَاءَ دَلِيلُ إِدَانَةٍ؟ هِيَ بَيَانِي الْخَتَامِيُّ عَنْ
عَالَمٍ خَرِبَ؛ إِذَا أُرِدْتَ الْمَفْتَاحَ، فَلَا تَبْحَثْ فِي جُيُوبِ جَلالٍ أَوْ
مِعْصَمِ نَارِدِينَ... اِجْعَلْ فِي "وَصِيَّةِ" الْعِطَارِ الْعَجُوزَ، هُنَاكَ
حَيْثُ يَمْتَزِجُ الْحُبُّ بِاللَّعْنَةِ، وَحَيْثُ سَتُكْتَشَفُ أَنَّنِي، رُغْمَ قَذَارَتِي،
كُنْتُ الصَّادِقَ الْوَحِيدَ فِي هَذِهِ الْمَسْرَحِيَّةِ الْهَزْلِيَّةِ.

أُطَبِّقُ مَرَادَ شَفَتَيْهِ، وَعَادًا لِيَغْرُقَ فِي غُمُوضِهِ الْحَادِ، تَارِكًا الْمُحَقَّقَ
أَمَامَ لُغْزٍ جَدِيدٍ؛ لُغْزٍ يَقُولُ إِنَّ الْخِيَانَةَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا الْبَدَايَةَ، وَأَنَّ
"الْمَفْتَاحَ" الْحَقِيقِيَّ لَمْ يَلْمَسْهُ بَشَرٌ بَعْدَ.

أَرْخِي سِدَالَ الصَّمْتِ فِي غُرْفَةِ التَّحْقِيقِ، كَأَنَّ جِدْرَانَهَا تَنْتَهِيَانِ
لِسَمَاعِ قَدَّاسٍ جَنَائِزِي لَا يَشْبَهُ شَيْئًا مِمَّا سَلَفَ...

★ موت بطعم الحب ★

وقف المحقق يطالع ناردين بغضبٍ صاعق، وصوته يخرج
كحفيفٍ سياطٍ تمزق الهواء :

- تكلمي يا ناردين! كيف تركته حُطامًا فوق موائد الغدر؟
وكيف هان عليك قلبٌ كان لك المأوى، لتتركه لمخالب الليل
وسموم مراد؟

ارتجفت ناردين، وسقطت شهقاتها كحبات لؤلؤٍ انفرطت فوق
صخرٍ صلد، وهي تصرخ :

- والله ما قتلتته! أخذنا "ساعة السر" ورحلنا، تركناه يصارع
خدره... ظننا أن الفجر سيوقظه ليعود لعطوره مهزومًا، لكننا لم
ننزع منه الروح... والله لم ننزع منه الروح !

★ موت بطعم الحب ★

وهنا... في ركنٍ قصي من الغرفة، حيث يتكاثف الظل حتى
يصير جثة، انسلَّ صوتٌ بارد كوقع المطر فوق الرخام؛ لم تكن
صرخة، بل كانت زفرةً مسمومة خرجت من حنجرة إليان، التي
تقدمت بخطى لا تُسمع، وعيناها تقدحان بشرٍ ندمٍ فات أوانه :

- هي لم تقتله... هي سرقت "المفتاح"، أما أنا... فقد سرقتُ
منه الوجود.

جمدت الكلمات في حلق الجميع، ومالت إليان برأسها وهي
تغرق في بحرٍ ماضيها، وتحكي قصة "النبضة الأولى" التي
صارت "الطعنة الأخيرة"...

- أنا كنتُ حبه الأول يا سيدي... أنا التي كنتُ أجلسُ معه في
مختبره الصغير حين لم يكن يملك سوى رائحة الياسمين وحلمٍ
مجهول.

★ موت بطعم الحب ★

- أنا التي صهرت سنوات عمري لأصنع له من صبري قوارير،
ومن دمي عطورًا.

- كنتُ أظن أنني العطر الذي لا يفارق ثيابه، والنبض الذي لا
يغادر صدره... لكنه خانني! خانني حين نظر إلى ناردين،
وحين جعل من غدرها قصيدة، ومن وفائي نثرًا مهجورًا.

توقف صوتها وهي تبتسم ابتسامةً مرعبة، واستطردت بوصفٍ
يقطر وجعًا :

- حين رحلوا جميعًا وتركوه مغشياً عليه في المطعم، لم أتركه
للغرباء، حملته كطفلٍ خذله الجميع، وأدخلته مختبره... مملكته
التي طالما طردني منها ببروده؛ جلستُ بجانبه، أنتظرُ أن يفتح
عينيه ليرى وجهي "المنقذ".

★ موت بطعم الحب ★

- وحين أفاق... يا إلهي، كيف نظر إليّ! كانت نظرة امتنانٍ

ذبحتني؛ نظر إليّ كغريقٍ وجد الشاطئ في عينيّ...

أمسكت إليان بياقة محرمتها، وكأنها تخنق نفسها :

- مثّلتُ عليه دور القدّيسة... أخبرته أنني سأحميه، وأنه بأمانٍ

في يديّ؛ سقيته ماءً باردًا، لكنني مزجتُ فيه "خلاصة اليأس".

- كان يشكرني بلسانه، والسمُّ يفتكُ بجنانه، شاهدتُ الحدقتين

وهما تتسعان بالرعب حين بدأ جسده يتخشّب، وشاهدتُ صدمة

الخيانة في عينيه وهي تفوق وجع الموت بآلاف المرات.

- لم يكن يصدّق أن "حبيبته الأولى" هي من تضع المسمار

الأخير في نعشه.

★ موت بطعم الحب ★

صمتت برهة، ثم أضافت بهمسٍ يملأ المكان رُعبًا وبلاغة :

- حين سكن نبضه تمامًا، انحنيتُ وقَبَلْتُ جبينه ببرود،
ووضعتُ "الوردة السوداء" فوق قلبه الساكن... لم تكن زينة، بل
كانت ختامي لقصةٍ بدأها هو بـ "الحب" وأنهيتها أنا بـ "العدم"

- رحلتُ وتركتُه وحيدًا مع عطوره، مكللاً بسوادٍ فعلي، ليعرف
العالم أنَّ مَنْ يُهمَل الوردة التي سقت عُمره، لا يحصدُ إلا شوكها
القاتل.

انتهى الحكي، وبقي المحقق واجماً تحت وطأة هذا الاعتراف
الملحمي، بينما غدت ملامح إليان كصفحةٍ من كتابٍ محترق،
لم يبقَ فيه سوى رماد الحقيقة.

★ موت بطعم الحب ★

بين جدرانِ الممرِّ الطويلِ الموحِّشِ، حيثَ تتردَّدُ أصداؤُ الأغلالِ
كتراتيلَ جنازِيَّةٍ فوقَ رخامِ النسيانِ، كانتِ إِيَّانَ تسيرُ بخطَّى
وئيدةٍ، لم تكنَ خطواتَ مهزومة تُساقُ إلى حتفِها، بل كانت
خطواتَ امرأةٍ أتمَّت لوجتَها الأخيرةَ بمداٍ من قُبَلاتٍ وسمِّ.

كانتِ القيودُ تلتفُّ حولَ معصمَيها كأساوِرَ من صقيعٍ، لكنها لم
تشعرَ ببردِ المعدنِ؛ فقد كان الصقيعُ الذي يسكنُ روحَها أشدَّ
عتوًّا.

لم يكنِ في عينيها ندمٌ، بل كانَ فيهما بريقٌ غريبٌ يشبُّه انعكاسَ
ضوءِ الشموعِ في عيونِ التماثيلِ.

استسلمت لغوايةِ الذاكرةِ، وراحت تستحضرُ وجعَ فؤادٍ في تلكِ
الأيامِ البعيدةِ، حينَ لم يكنِ بينهما سوى رائحةِ "المسك" وصمتِ
المختبرِ الدافئِ.

★ موت بطعم الحب ★

- أنا لم أقتلك يا فؤاد... أنا فقط استعدتُك! لقد استرددتُ ملكيتي التي حاول الجميعُ سرقتها؛ الآن، وأنت تحت التراب، لم تعد لناردين، ولم تعد لمراد، ولم تعد لعطورك اللعينة... لقد صرت لي وحدي، صرت ذكرى لا يشاركني فيها أحد، وسراً دفيناً لا يملكه غيري.

جلست فوق الفراش الخشن، وأغمضت عينيها، فاستنشقت في مخيلتها رائحة "الوردة السوداء" التي تركتها فوق صدره؛ كانت تشعر بانتصارٍ مرعب، انتصار المرأة التي رأت أن القبر أرحم من الهجر، وأن السجن أوسع من عالمٍ يجمعُ فؤاد بامرأةٍ غيرها.

لم تكن إليان تشعر بالظلام، فقد كانت تحمل داخلها "نوراً" زائفاً، هو وهمُ الامتلاك الأبدي، غافلة عن أن العطر الذي خنقته قد غادرَ القارورة للأبد، ولم يتبق لها سوى رائحة الرماد...

★ موت بطعم الحب ★

بينما كانت إليان تستقبلُ عتمةَ زفانتِها بابتسامةٍ المنتصر، كان مراد في الجانبِ الآخرِ من السجنِ يصارعُ جحيماً من نوعٍ آخر؛ لم يكن جحيماً ندمٍ أو وخزٍ ضمير، بل كان جحيماً "العجز" الذي ينهشُ كبريائه القدر.

كان يجلسُ على حافةِ سريرهِ الحديدي، يمسكُ بـ"ساعةِ السر" التي سلبها من معصم فؤاد، يقلبها بين أصابعه المرتعشة بغضبٍ مكتوم؛ كان الضوءُ الخافتُ ينعكسُ على زجاجها المحطم، كأنه يسخرُ من طمعه...

حاول مراراً وتكراراً أن يفكَّ شفرتها، أن يفتحَ قلبَها المعدني ليصلَ إلى "المفتاح" الذي سيجعله سيِّداً لعالمِ العطور، لكنَّ الساعةَ كانت صامتةً كصمتِ القبور.

★ موت بطعم الحب ★

نطق مراد بصوتٍ يملؤه الحقد، وهو يحرقُ في التروسِ
المتوقفة :

- تكلمي أيتها اللعينة! أين خبأه؟ أين وضعَ ذلك العطرَ الذي
يقلبُ موازينَ الخلود؟ لقد قتلته، ومزقتُ رداءَ وفائه، وسلبته كلَّ
ما يملك... فكيف يجرؤ، وهو تحت التراب، أن يظلَّ أقوى مني؟

فجأة، وبحركةٍ هستيرية، ضربَ الساعةَ بالحائطِ الصخري،
فانفتح غطاؤها الخلفي ليتساقطَ منها شيءٌ لم يتوقعه...

لم تكن هناك رقاقةٌ إلكترونية، ولا رمزٌ سري، بل كانت هناك
"وريقةٌ صغيرة" مطويةٌ بعناية، تفوحُ منها رائحةُ "الورد
المجفف"...

★ موت بطعم الحب ★

فتحها مراد بلهفةٍ جنونية، ليجدَ سطرينِ مكتوبينِ بخطِّ فؤاد
الرفيع، كلماتٍ كانت كالصاعقةِ التي أحرقت ما تبقى من
غروره :

" إلى مَنْ سيفتحُ هذه الساعةَ طمعًا ...

إنَّ العطرَ الحقيقيَّ لا يُسجنُ في الأرقام، ولا يُسرقُ من المعاصم؛

السُّرُّ ليس في القارورة، بل في " القلبِ الذي يصنعها "؛

لقد سرقت المعدنَ يا مراد، وتركتَ لي الروح...

والمفتاحُ الذي تبحثُ عنه سيبقى ذكرياتٍ لن تملكِ أنتَ منها حرفًا

واحدًا"

★ موت بطعم الحب ★

ضحك مراد ضحكةً مجنونة، ضحكةً تحولت إلى عويلٍ مكتومٍ
ترددَ صدهُ في زوايا السجن؛ لقد أدرك الآن، وهو القويُّ الجبار،
أنه خسرَ كلَّ شيءٍ؛ فؤاد، حتى وهو ميت، قد هزمه؛ ناردين
خانت، وإليان قتلت، وهو سجنَ نفسه في مطاردةٍ "سرِّ" لم يكن
موجودًا إلا في طهرِ صديقٍ قام هو بذبحه.

ألقى مراد بالورقة في زاوية الزنزانة، ووضعَ رأسه بين يديه، بينما
بدأت رائحةُ العطرِ الوهميَّة تخنقه، ورأى في الظلام وجهَ فؤاد
وهو يبتسمُ له بشفقة، تاركًا إياه في سجنٍ من "اللا شيء"

بينما كان مراد يصارع جنونه خلف القضبان، كانت ناردين تقفُ
خارج أسوار تلك الجدران الباردة، لكنها لم تكن حرة؛ لقد أطلق
المحقق سراح جسدها لعدم كفاية الأدلة على القتل، لكنها
خرجت مكلَّلةً بـ"لعنة الخيانة" التي لا يمحوها عفو ولا استرحام.

★ موت بطعم الحب ★

عادت ناردين إلى الرصيف ذاته الذي ظنت يوماً أنها غادرته
إلى الأبد؛ كانت السماء تُمطرُ برذاذٍ خفيف، كأنَّ الطبيعة
تحاولُ غسلَ ما اقترفته يداها، لكنَّ العطرَ المسمومَ كان قد
تغلغل في مسامِ روحها.

وقفت أمام المرآة المكسورة في غرفتها القديمة، المظلمة، التي
تفوح منها رائحةُ الرطوبةِ والنسيان؛ نظرت إلى إصبعها... كان
الخاتم لا يزال هناك، لكنَّ بريقه قد انطفأ، وصار ملمسه يلدغها
كأفعى حقيقية...

تذكرت كلمات فؤاد حين كان يقول لها :

" ثوبُ الصدقِ لا يبلى يا ناردين، أما الحريزُ المنسوجُ من
الكذب، فسيتمزقُ عند أولِ عاصفة "

★ موت بطعم الحب ★

بكت ناردين، ليس ندمًا على فؤاد فحسب، بل بكاءً على نفسها
التي ضاعت بين مخالب الطمع ومقصلة الغدر...

أدركت الآن أنَّ الرصيف الذي هربت منه كان أرحم بكثير من
القصر الذي سكنته بدماء حبيبها؛ لم تكن تملك ثمن خبزها،
لكنها كانت تملك "وجهها" في المرأة...

أما الآن، فهي تملك خاتمًا يساوي ثروة، لكنها لا تجرؤ على
النظر إلى انعكاس صورتها...

قالت بهمسٍ مخنوق، وهي تتحسس موضع الساعة المفقودة
على معصمها :

- لقد اشتريت الأرض وبعث السماء... وظننتُ أنني سأنجو؛
فإذا بالأرض تبتلعني، والسماء تغلق أبوابها في وجهي... فؤاد
مات وهو يظنني "حياة"، وأنا سأعيش وأنا أعلم أنني "موت".

★ موت بطعم الحب ★

خرجت إلى الشارع، تائهةً وسط الزحام، لا وجهة لها ولا مأوى؛
كانت تشعرُ أنَّ كلَّ عابرٍ يمرُّ بجانبها يستنشِقُ رائحة "الخيانة"
الفواحة منها، وأنَّ العالمَ كله صار مختبرًا كبيرًا يكشفُ زيفَ
العطورِ التي تتخفى وراءها الأرواحُ القذرة.

عادت ناردين لتكون "لا شيء" في مدينةٍ لا ترحم، تحملُ في
جيبها خاتمًا من ذهب، وفي صدرها قلبًا من رماد...

تحت سماءٍ لفحتها غيومٌ رمادية، كأنها منسوجة من دخانِ
الاحتراق، وفي زاويةٍ منسيّةٍ من مقبرة المدينة، حيثُ ينامُ الموتى
في صمتٍ لا يقطعه إلا حفيفُ أسرارهم، كان يرقُدُ فؤاد؛ لم يكن
قبره فخمًا كأحلامه، ولا باردًا كزنانةٍ مراد، بل كان ترابًا رطبًا
يحتضنُ الرجلَ الذي أضاعَ عُمره يبحثُ عن "روح الورد" في
زمنٍ يعبدُ "جسد المادة".

★ موت بطعم الحب ★

هناك، بعيدًا عن صخبِ التحقيقات، وصريرِ أغلالِ إيلان،
ودموعِ ناردينِ الكاذبة، حدثَ ما لم يفسره منطقُ الكيمياء ولا
قوانينُ البشر؛ فوق الرخامةِ البيضاء التي حُفرَ عليها اسمه، لم
تتبت أعشابٌ عادية، بل برزت من بين الشقوق وردةٌ سوداء
حقيقيةة.

لم تكن كالوردة التي وضعها جلال على طاولةِ الغدر، ولا كالتي
وضعها مراد كشفرةٍ للموت؛ كانت وردةً تنبضُ بحياةٍ غامضة،
بتلاتها مخمليةٌ سوادها ليس لونًا، بل هو "عمق"، كأنها امتصت
كلَّ الحزن الذي سكنَ صدرَ فؤاد في لحظتهِ الأخيرة، وحولتهُ إلى
جمالٍ كئيبٍ يأسُرُ الألباب...

★ موت بطعم الحب ★

كلما مرَّ عابرٌ من جانبِ ذلك القبر، كان يستشوق رائحةً لا يشبهها شيء؛ لم تكن ياسمينًا، ولا مسكًا، بل كانت رائحة "السكينة" التي تلي العاصفة.

كانت الوردة تفوحُ بعطرٍ يقولُ بصمت :

" هنا يرقدُ مَنْ قتلتهُ العطور، فصارَ هو العطرُ الأبدي "

في تلك اللحظة، كان المحقق يقفُ بعيدًا، يراقبُ المشهدَ بصمت؛ لم يقترب، لم يلمس الوردة، ولم يحاول قطفها. وضعَ يده في جيبه، وأخرجَ قلمًا صغيرًا، وكتبَ في نهاية ملفِ القضية جملةً واحدة قبل أن يُغلقه للأبد :

" في صراعِ العطورِ والسموم، وحده الطهرُ يظلُّ عاليًا
بِالأمكنة؛ الخونةُ سُجنوا في جدرانهم، والضحيةُ تحررت لتصيرَ
نِكري تُزهَرُ في قلبِ العتمة "

★ موت بطعم الحب ★

هبت ريحٌ باردة، فتمايلت الوردةُ السوداء كأنها تُلقِي التحيةَ
الأخيرة على عالمٍ لم يفهمها...

غادرَ المحققُ المكانَ، وتلاشت خطاهُ في الضباب، وبقيَ فؤادٌ
وحيدًا مع سرِّه الكبير... السرُّ الذي لم يكن في ساعة، ولا في
تشفير، بل كان في وردةٍ نبتت من قلبِ الموت، لتقول للجميع :

" إِنَّ المسافات بين النبضةِ والشهقة لا يملؤها إلا الوفاء "

أغلقت الدنيا أبوابها، وبقيَ القبرُ مفتوحًا على حقيقةٍ واحدة :

" لقد ماتَ فؤادٌ لأنَّ ناردين سَرَقَتْ مِعصمَه، وإليان سَرَقَتْ
أَنفاسَه، ومراد سَرَقَ حُلْمَه... ولم يتركوا له سوى كفنٍ مَغزولٍ من
عطرٍ لم يَشْمَه أحد، ووردةٍ سوداء نبتت فوق صدره، لا لِتُزَيِّنَ
مَوْتَه، بل لِتَعْتَذَرَ له عن طهرٍ كان أكبرَ من أن يَحْتَمِلَه هذا
العالمُ القذر "

★ موت بطعم الحب ★

فِي خِتَامِ السُّطُورِ، لَمْ يَبْقَ مِنْكَ سِوَى عِطْرِ حَزِينٍ يَمْلَأُ فَرَاغَ الصَّفَحَاتِ
وَيَنْعَى الْغِيَابَ...

تَمَّتْ رِوَايَتِي، وَأَغْلَقَ مَلَفُ الْجَرِيمَةِ، لَكِنَّ جَرِيمَتَكَ أَنْتَ لَا تَزَالُ مَفْتُوحَةً
فِي صَدْرِي...

★ موت بطعم الحب ★

إِلَيْكَ يَا مَنْ تَرَكْتَنِي فِي وَعْثَاءِ ظُرُوفِي، تُصَارِعُنِي الْأَيَّامُ وَتَنْهَشُنِي

الْوَحْدَةَ...

أُهْدِي إِلَيْكَ هَذِهِ الصَّفَحَاتُ...

لَا حُبًّا، بَلْ لِنِدْرِكَ أَنَّ الْقَلَمَ الَّذِي خَذَلْتَهُ لَمْ يَنْكَسِرْ،

بَلْ اسْتَمَدَّ حَبْرَهُ مِنْ نَزِيفِ غِيَابِكَ...

لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْكَ بَيْنَ السُّطُورِ فَلَمْ أَجِدْكَ،

فَخَلَقْتُ مِنْ وَجْعِي "عَطْرًا" يَفُوحُ بِالْعِنَابِ،

و"وَرْدَةً سَوْدَاءَ" تَحْمِلُ مَلَامِحَ خُذْلَانِكَ.

★ موت بطعم الحب ★

شُكْرًا لَأَنَّكَ رَحِلْتَ...

فلولا مَرَارَةُ رَحِيلِكَ ما ذُقْتُ طَعْمَ الْحُرْفِ،

ولولا خُذْلَانُكَ لِي، ما عَرَفْتُ أَنَّ فِي دَاخِلِي رِوَايَةً تَبْنِي مِنَ الرَّمَادِ
قُصُورًا.

ارحِلْ كما تَشَاءُ،

فَقَدْ صَارَ غِيَابُكَ هُوَ الْمُلْهَمُ،

وصَارَ هَجْرُكَ هُوَ الْوَثِيقَةُ الَّتِي أَثْبَتَتْ لِي أَنَّنِي أَقْوَى مِمَّا ظَنَنْتُ،

وَأَنْبَلُ مِمَّا افْتَقَدْتُ...